الأَديبةُ والشاعِرةُ المهْجريّة

سَلْوى سَلامَة أَطْلس

حَياتُها وأَدبُها

دراسة

د. حسَّان أحمد قَمْحيَّة

دارُ مُهاراتِ لِلعُلوم

الأديبة والشاعرة الـمَهْجريّة سلوى سلامة

حياتُها وأدبُها

دَارُ مُهَرَاتٍ لِلعُلُومِ

سورية، حمص

رابطنا على الفيسبوك:

/https://www.facebook.com/darmohrat

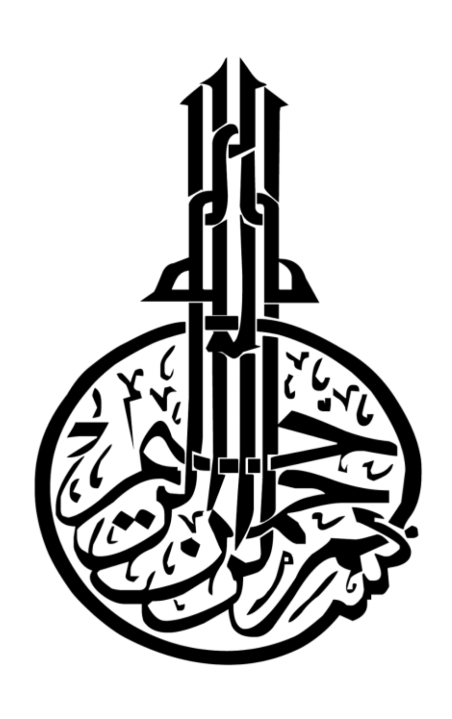
الأديبة والشاعرة المهْجريّة سلوى سلامة

حَياتُها وأَدَبُها

دراسة

د. حسَّان أحمد قَمْحيَّة

دار مهارات للعلوم



الطبعة الثانية ٢٠٢٣ م



الفَهْرس



مقدِّمة الطبعة الثانية

اقتصرَ عملي فـي الطبعة الثانية من هذا الكتاب على مراجعته وتنقيحه، مع تعديلات بسيطة على مستوى النصّ والإخراج الفنّي.

والله وليُ التَّوْفيق.

حسَّان أحمد قمحيَّة

الرِّياض، آذار/ مارس ٢٠٢٣ م



مقدِّمة الطبعة الأولى

لا يزال الأدبُ الـمَهْجريّ يشكِّل محطَّةً مهمّة من محطَّات الأدب العربـيّ؛ ومع كثرة الأبحاث والدِّراسات التي تناولته، لكنّها ركَّزت على أعلام معيّنين فيه، بينما لم تَحفلْ بكثيرٍ من بقيَّة أعلامه، واكتفت بالـمرور على نتاجهم الأدبـي مرورًا سريعًا أو عابرًا أو مُقْتَضبًا. وهذا الأمرُ لا يَخْفى على جمعٍ كبير من دارسي هذا الأدب أو الـمَعْنيِّين به حقَّ العناية. لقد مضى هذا التقصيرُ أبعدَ من ذلك عندما أغفلَ بعضًا من أدباء الـمَهْجر إغْفالًا تامًّا. ولقد أشرتُ إلى مثل ذلك فـي عدد من الأعمال الخاصَّة بهذا الأدب، وأذكرُ على سبيل الـمِثال - لا الحَصْر - تنكُّبَ دراسات الأدب الـمَهْجري عن الحديث عن الشاعِر والأَديب بَدْري فَرْكوح[1]، وجورج أَطْلَس (واسمه الحقيقيّ راشد نَدّاف)، وسليمان ربوع، وجميل بطرس حلوة، وبترو الطرابلسي وغيرهم. ولكنَّ اللافتَ للنظر أنّ بعضَ أولئك الباحثين فـي الأدب الـمَهْجري كانوا على مقربة زمنيَّة من أعلامه، ومنهم من زار بلاد الاغتراب التي عاشوا فيها؛ لذلك، ربَّما كان تحصيلُ الـمعلومات عنهم أَيْسرَ وأدقّ. أمَا وقد تباعدَ الزمن، ودَرَسَ بعضُ نتاجهم، فقد بات الوصول إلى تلك الـمعلومات صعبًا، بل وشاقًّا أحيانًا. ومن جملة مَنْ أغفلته الدِّراساتُ أَديباتُ الـمَهْجر، فليس هناك من حديث وافٍ عنهنّ، كم عَدَدهنّ؟ ما طبيعة أعمالهنّ

[1] أَفْردتُ لهذا الأديب كتابًا كاملًا جمعتُ فيه أشعارَه من كتابه «قيثارة الشباب» الصَّادر سنة ١٩٢٩ م، مع قصائد أخرى له انتزعتُها من مراجعَ ومصادر أخرى. كما قدّمتُ للديوان بدراسة مُوجَزة عن حياته وشعره. وفهرستُ قصائدَ الدِّيوان بحسب القوافـي والبُحُور، مثلما فعلتُ مع غيره ممّن جمعتُ دواوينهم.



الأدبية؟ ما هيَ سِيَرهنّ الذاتيّة، ومراحِل حياتهنّ؟ كلُّ ذلك تَغْشاهُ عَتْمةٌ وظِلالة. ومن بين أولئك الأديبات الكاتبةُ والشاعرة سَلْوَى سَلامَة.

بحثتُ كثيرًا عمَّا تركَتْ سلوى سلامة من نِتاجٍ أدبيّ، واستطعتُ - بفَضْل الله تعالى - أن أَحْصلَ على هذا النِّتاج من أحد الـمَواقع الأجنبيّة، كما عرفتُ شيئًا إضافيًا عن مراحِل حياتها من دراسةٍ أجنبيَّة عن شعر الـمَهْجر، وقد أشرتُ إلى كلِّ ذلك فـي مَتْن هذه الدراسة. لقد لجأتُ إلى البحث عمّا يتعلّق بهذه الأديبة فـي الـمراجع الأجنبيّة بعدَ أن استنفدتُ البحثَ عن مُتَعلِّقاتها الأدبيَّة فـي الـمصادر أو الـمراجع العربية القليلة التي ذكَرَتْها. كما سعيتُ إلى الحصول على أعداد مجلَّة «الكَرْمة» التي كانت تُصْدرها هذه الأديبة، فلم أفزْ بذلك حتّى ساعة كتابة هذه السُّطور. ومن الجهات التي راسلتُها فـي سبيل تحقيق هذا الغرض الـمَكتبةُ العامّة فـي سان باولو بالبرازيل، حيث أقامت سلوى سلامة وكَتَبَتْ ونَشَرَتْ، لكن لم أحظَ بأيِّ ردٍّ أو إجابة.

كما حاولتُ جمعَ ما يمكن من قصائد سلوى سلامة، وأَدْرجتُها هنا فـي البداية كاملةً (ثم عدلتُ عن ذلك لاحقًا بعدَ أن وجدتُ الـمَزيدَ من شعرها، فأفردتُ لهُ كتابًا منفصلًا)، قاصِدًا بذلك أن أدمجَ ما بين ديوانها الصغير ودراسة ما جاءَ فيه ولو بشكلٍ مختصر. كما رتَّبت القصائِدَ فيه بحسب قوافيها فـي الفَهْرس الأوَّل فـي مَطْلع الكتاب، ثمّ فَهَرْستُها بحسب بُحُورها فـي نهايته.

لقد وقفتُ عندَ النـثـر لدى الأديبة سـلوى سلامة، وسعيتُ إلى تحليله وتفصيل أجناسِه



بشيءٍ من الدراسة والتَّحْليل الـمُوجَزَيْن؛ فوجدتُ فيها وجدتُ أنَّها قارَبَت الخاطرةَ والقصّة والحكايةَ والـمقالَة والخطبة. ووَشَّتْ ما تَكْتب بسيرةِ فَهْمها للحياة والإنسان، وبما تراكمَ لديها من تجارب وعِبَر وعِظات.

نظمت سلوى سلامة الشعرَ منذُ وجودها فـي مدينتها حِمْص[1]، ثمّ تابعت ذلك خلال اغترابها؛ لكنَّها كانت تجمع ما بين النَّثْر والشِّعر فـي كثير من الأحيان. ويبدو ذلك واضحًا فـي مقالاتها وخُطَبها؛ فهي تميلُ إلى النثر أكثر منها إلى الشِّعْر، وتجلَّى ذلك – على ما يَبْدو – بَعْد هجرتها إلى البرازيل. ولذلك، جاء ما وصلتُ إليه من شعرِها قليلًا جدًّا. ولكن من الجدير بالذكر أنّ مجلَّة النفائس العصريَّة أشارت إلى وجود مجموعة أناشيد لسلوى سلامة بعنوان «نَغمات السَّلْوى»[2]، وجاء فـي الإعلان التَّعْريفي بهذه الـمجموعة أنَّها «أناشيدُ أدبيَّةٌ غاية فـي الرقّة والانسجام، تضمَّنت معانـيَ شتّى على أوزان شرقيّة مشهورة». وقد بحثتُ كثيرًا عن هذه الـمجموعة فلم أَجْدها. كما ذكرت بعضُ الـمواقع أنَّ لها قصائد فـي مجلَّة «سَمِير الصبا» التي كانت تصدر فـي حمص مطلع القرن الـماضي، وقد أَلـمَحْت إلى كلّ ذلك فـي الديوان الشعري الذي جمعتُ فيه شعرَ الـمترجَم لها.

---

[١] اتُّهِمَت سَلْوى سَلامة، مثل كثيرٍ غيرها من النِّساء الشَّواعِر، بأنَّ أخاها «حبيب» كان ينظمُ لها قصائدَها (انظر: مقالة «هُنَّ يَكْتُبن»، مجلّة الحَسْناء، الجزء السادس، الـمُجَلّد الثانـي، كانون الأوّل/ ديسَمْبر، بيروت، ١٩١٠ م، ص٢٠٩).

[٢] مجلّة النفائس العصريّة، السنة الثالثة، الجزء الثالث، آذار/ مارس ١٩١١ م، ص١٤٣-١٤٤.



وآمل من كلِّ ذلك أن أكونَ قد وُفِّقتُ في إبراز سيرة أديبة وشاعرة من أعلام الأدب الـمهجري الأمريكي، حتَّى لا تبقى دراساتُ هذا الأدب وقفًا على الأدباء منه دون الأَديبات والشَّواعِر. ولكن يطيبُ لي هنا أن أذكرَ بأنّني لم يكن قَصْدي من هذا الكتاب أن أغوصَ عميقًا في دراسة أدب سلوى سلامة، نثرًا كان أم شِعْرًا، من حيث خصائصُه وملامحه وما إلى ذلك، وإنَّما كان هدفي أن أُلْقيَ الضوءَ على أعمال هذه الأديبة، وأن ألفتَ الانتباهَ إلى ذلك، علَّ هذه الـمادّةَ الأوّلية تكون باعِثًا لـمزيدٍ من الدِّراسة والبَحْث من قِبَل الـمهتمِّين والـمُخْتَصِّين، ليس بالنسبة للأديبة الـمَهجريَّة سلوى سلامة فحسب، بل بالنسبة لأديبات وشواعِر أُخْرَيات.

والله وليُ التَّوْفيق.

حسَّان أحمد قمحيَّة

الرِّياض، آب/ أغسطس ٢٠٢٠ م



الفصل الأوّل: سلوى سلامة - حياتُها وسيرتُها

سلوى سلامة، وتُشْتهَر باسم سلوى سلامة أَطْلس نسبةً إلى زَوْجها الأديب والشاعر جورج أَطْلس، مُربِّيةٌ وأَديبةٌ وشاعرة[1] وصِحافِيّة مَهْجرية، "وُلِدَت في ٢٦ نيسان/ أَبْريل سنةَ ١٨٨٣ م بمدينة حِمْص السُّوريّة[2] من والدَيْن عُرِفا بأخلاقِهما الحميدة، وهما بُطْرس نقولا سلامة ووَرْدة صنيج سلامة"[3]؛ وتَعلَّمَت قواعدَ اللغة العربية والعَروض والتاريخ

[1] قرأتُ في عدّة مصادر عن الأديبة سلوى سلامة، لكنَّ هذه الـمصادرَ لم تُشِر إلى أنَّها كانت شاعرة؛ ففي كتاب: «أدبنا وأُدَباؤنا في الـمَهاجِر الأمريكيّة» لجورج صيدَح ذكرَ في مَعْرِض حديثه الـمُقْتَضب جدًّا عنها (خمسة أسطر فقط) أنَّها أَديبة، دون أيّ إشارة إلى أنّها شاعرة أيضًا (انظر: أدبنا وأُدَباؤنا في الـمَهاجِر الأمريكية، جورج صيدح، الطبعة الرابعة، مكتبة السائح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩ م، ص٤٥٤). أمَّا أدهم آل جنْدِي في كتابه: أعلام الأدب والفنّ فذكر أنَّها شاعرة وأديبة موهوبة، وقد أطلق عليها لقب «شاعرة العاصي»، مع أنَّه لم يُورِد لها أيّ شعر، ومن عادته أن يفعلَ ذلك مع الشعراء الذين ضمّهم كتابُه (انظر: أعلام الأدب والفنّ، أدهم آل جنْدِي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلّة صوت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م، ص١٢١). وبعدَ البحث والتقصِّي، وجدتُ لها بعضَ القصائد، فهي شاعرةٌ مُقِلّة بلا شكّ. وقد أكَّد الأديبُ الـمَهْجري داود شكّور، في تَقْديمه لكتابها «الكلمات الخالِدة» الذي أفردته لبَعْض خُطَب زوجها، أنَّها شاعرة، حيث وصفَها بالكاتبة والخطيبة والشاعرة (انظر مقدّمة ذلك الكتاب: الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٣ م، ص٣).

[2] تشير بعضُ الـمصادِر إلى أنَّ أصلَ الأسرة من بَعْلَبك في لبنان.

[3] انظر: أعلام الأدب والفنّ، أدهم آل جنْدِي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلّة صوت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م، ص١٢١.



العربـي على يد شقيقها الأستاذ حبيب، والرياضيّات على يد شقيقها الأستاذ قَبَلان، ثمَّ دخلت مدرسةَ البنات بحِمْص، وقد بَدَت عليها منذ حداثةِ سِنِّها أَماراتُ الذّكاء والفِطْنة.

ابتدأت سلوى سلامة الدراسةَ فـي الخامسة من عمرها، ونالَتْ الشهادةَ بتَفوُّق فـي الحادية عشرة. ولَـمَّا أَكْمَلت الـخامسة عشرة مـن عمرها عُيِّنت معلِّمة فـي مدارس حمص، حيث دَرَّستْ وعلَّمَت وهذَّبت مئات الطالبات؛ وتَسلَّمَت إدارةَ مدرسة البنات الأَرْثوذكسيَّة فـي حمص بعدَ أن كانت مدرِّسة فيها. وأقامَت مدّةً من الزمن، خـلال سـنتَيْ ١٩٠٧-١٩٠٩ م، فـي مدينة زحلة بلبنان (وربَّما لـمدَّةٍ أطول من ذلك) تكتب فـي الـمَجلّات والصُّحُف، "مثل جريدة «الـمَحبَّة»[1]؛ كما دُعيَت للتعليم فـي مدرسة «زَهْرة الإحسان فـي زحلة»"[2]. وكتبت فـي مجلّة "الحَسْناء" البَيْروتيّة لصاحبها جُرْجي نقولا باز[3]، ونشرت فيها خطبَها وقصائدها التي ألقتها فـي الحفلات والجمعيَّات الأدبية والخيرية الـمختلفة، وفعلتَ الشيءَ نفسَه حينما كتبت فـي جريدة حمص التي تُعدّ أَوَّلَ جريدة صدرت فـي مدينة حمص، وذلك سنةَ ١٩٠٩ م. وفـي سنة ١٩١٠ م عيّنتها الجمعيّةُ الفِلَسْطينية الأَرْثوذكسيَّة رئيسةً لـمدارس الإناث فـي حمص. ويُذكر أنَّ الأديبةَ سلوى سلامة سافرت إلـى القُدْس، وكتبت خلال وجودها هناك عدَّةَ مقالاتٍ تُدافِع فيها عن الـمرأة وحقوقِها.

---

[1] كانت تَصْدرُ فـي بيروت بَدْءًا من سنة ١٨٩٩ م، لصاحبها فَضْل الله فارس أبـي حلق.

[2] انظر: أديبات عربيَّات - سِيَرٌ ودراسات، عيسى فَتُّوح، الجزء الأوَّل، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، ص٨٧.

[3] بدأت بالصُّدور سنةَ ١٩٠٩ م، وتوقَّفت سنة ١٩١٢ م؛ وكانت سلوى سلامة عضوةً فـي هيئة تحريرها.



لقد أخذتْ شُهْرة سلوى سلامة تتَّسع بين الأدباء يومًا بعدَ يوم، وبلغت مقالاتُها الـمميّزة ما وراءَ البحار، ونالت استحسانًا عامًا، على الرغم من صِغَر سنِّها. وأصبح مَنْزِلُها فـي زحلة ناديًا أدبيًا، يجتمع فيه كبارُ الشعراء والأدباء كحليم دمُّوس، وعيسى اسكندر الـمَعْلوف وغيرهما؛ وقد أحبُّوا مُداعبَتَها يومًا، فطلبوا منها أن تَقْرأَ ما كتبه ياقوت الحموي عن حِمْص فـي موسوعته «مُعْجَم البُلْدان»، ولم تكن قد اطلعت على هذه الـمَوْسوعة من قبل، فتناولت الكتابَ وأخذت تقرأُ بصوتٍ عال، ولغة سليمة، ونبرة خطابيّة، لتبرهنَ على مَقْدرتها. وبعدَ أن قرأَتْ ما كتبه ياقوت عن مَوْقع حمص ومناخها وعدد سكّانها ومَزْروعاتها، وصلت إلى قوله: «ونِساؤُها مَشْهوراتٌ بالجمال والبلاهة»، فقرأت العبارةَ دون تردُّد «ونِساؤها مشهوراتٌ بالجمال والنَّباهة»، فصَفَّقَ لـها جميع الحاضرين، لأنّها نجت من الشَّرَك الذي نُصِبَ لها[1].

تَزوَّجَتْ سلوى سلامة بالأَديب والشاعر والصِّحافـي الـمَهْجري جورج ميخائيل أَطْلس[2] سنةَ ١٩١٣ م، وسافرا معًا إلى سان باولو فـي البرازيل وهي بعمر ٣٠ سنة، حيث

١ هذه القصّة مَنْقولةٌ عن كتاب: أدبيات عربيّات – سِيَرٌ ودراسات لعيسى فَتُّوح، الجزء الأوّل، ص٨٧.

٢ هو الأديب الحِمْصي راشِد ندَّاف، وقد لُقِّب بجورج أَطْلس لبراعته فـي الرياضيَّات ورسم الـمصوَّرات (انظر: مُعْجَم أعلام النِّساء، محمّد التونجي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠١ م، ص١٠٦). وهناك من يقول إنّ تغيير راشد ندّاف اسمَه إلى جورج أطلس عائدٌ إلى تورّطه فـي مشاكل ماليّة عندما كان فـي الولايات الـمتّحدة، حيث غادرها باسمه الجديد.



أَسَّسا مَدْرسةً عربية هناك «مَدْرسة الكرمَة»[1]. كما أسهمت سلوى سلامة فـي بناء عددٍ من "الـمدارس السوريّة الابتدائيّة فـي كلٍّ من البرازيل والأرجنتين وتشيلي، وفـي تمويل مستشفى بحمص"[2].

وهنا أجدُ مـن الـمُفيد ذِكْر حيثيَّات هِجْرة سلوى سلامة إلى البرازيل، مثلما جاءَ فـي كتاب: Making Nations, In The Mahjar: Syrian And Lebanese Long-Distance Nationalisms In New York City, São Paulo, And Buenos Aires, 1913-1929، ستاسي د فَهْرنثولد Stacy D Fahrenthold، حيث تقول: "لقد انتهى الـمُقامُ بجورج أطلس (ابن ميخائيل سَمْعان أطلس الذي ساعد أحمد الشِّدْيَاق في ترجمة الكتاب الـمُقدّس إلى العربية فـي خمسينيّات القرن التاسع عشر) فـي البرازيل صُدْفةً، إذ تَلقّى الابنُ تعليمًا تَبْشيريًا أمريكيًّا مَضَى به من حِمْص إلى سوق الغَرْب فـي طَنْطا بمصر، وأخيرًا إلى أُكْسفورد، حيث التحقَ

[1] تَذْكر الكاتبةُ أثير محمَّد علي أنّ سلوى سلامة لـم تَنْخرط فـي بلاد الغُرْبة بالعمل فـي جريدة «الزهراوي» أو مجلّة «الاتِّحاد العربـي» اللَّتين أسَّسهما زَوْجُها جورج أطلس، بل فضَّلت أن تَنْفردَ بمجلَّتها الخاصّة «الكرمة» التي أَسَّستها بنفسها (انظر: مقالة: الجامعة، أثير محمّد علي، مجلّة الكلمة، العدد ٥٧، كانون الثانـي/ يناير ٢٠١٢ م).

[2] انظر: Making Nations, In The Mahjar: Syrian And Lebanese Long-Distance Nationalisms In New York City, São Paulo, And Buenos Aires, 1913-1929، ستاسي د فَهْرنثولد Stacy D Fahrenthold (رسالَة دكتُوراه فـي التاريخ)، جـامعة نُورثستيرن Northeastern University، بوسطُن، ٢٠١٤ م، ص٢٣٦.



بالجامعة. وقد عملَ جورج أطلس لـمدّة وجيزة فـي لندن قبلَ أن يعودَ إلى حِمْص للزواج، ثمَّ ليَخُطَّ مَسارَ حياته صِحافيًا. وفـي حِمْص تزوّجَ من سلوى سلامة. وسافر الزَّوجان إلى البرازيل لقضاء شَهْر عسل، حيث بدأت الحربُ العالـمية الأولى، فلَمْ يعودا قادِرَيْن على الرجوع إلى الوطن، فقرَّرا البقاءَ فـي سان باولو بشكل دائم، والاندماجَ فـي النُّخْبة الاجتماعية هناك"[1]. ويجدرُ بنا هنا أن نشيرَ إلى أنَّ سلوى سلامة هي الزوجةُ الثانية لجورج أطلس بعدَ وفاة زوجته الأولى[2].

أَنْشأَ جورج أَطْلس فـي ســان باولو مع سلوى سلامة مجلَّة «الكَرْمَة» الثقافيَّة الأدبيَّة سنةَ ١٩١٤ م[3]؛ وبعدَ وفاتِه سنةَ ١٩٢٦ م وهو فـي سفرٍ إلى الأَرْجنتين[1]، ثابَرَتْ على إصْدارِها منفردةً حتَّى وَفاتِها، حيث توقَّفت عن الصُّدور.

---

[١] انظُرْ: Making Nations, In The Mahjar: Syrian And Lebanese Long-Distance Nationalisms In New York City, São Paulo, And Buenos Aires, 1913-1929، ستاسي د فَهْرنثولد Stacy D Fahrenthold (رسالَة دكتُوراه فـي التاريخ)، جامعَة نُورثستيرن Northeastern University، بُوسطُن، ٢٠١٤ م، ص٢٤٩. وقد وردَ فـي هذا الكتاب أنَّ سلوى سلامة تزوَّجت سنةَ ٢٠١٤ م، ولكنَّ زواجَها كان فـي مطلع عام ١٩١٣ م حسب ما ذكر زوجُها جُورج أَطْلس فـي بعضِ مُذَكَّراتِه (انظر: الكَلِمات الخالِدة، سلوى سلامة، سان باوْلو، البرازيل، ١٩٢٣ م، ص١٥).

[٢] انظر: الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٣ م، ص١٥.

[٣] يُذْكَر أنّ أَوَّلَ صحيفة عربية صَدَرت فـي العالـم الجديد هي صحيفَةُ «الفيحاء» فـي البرازيل (انظر: أدب الـمُغْتَربين، إلياس قُنْصُل، سلسلة الثقافة الشعبية ٨، دمشق، ١٩٦٣م، ص١٨). ولكنّ مجلّة الكرمة هي أوّلُ



تُعَدُّ مجلّةُ الكَرْمة الـمَهْجريّة "أوّلَ مجلّةٍ عربية تتحدَّث عن الـمرأة، وقد استمرَّت فـي الصُّدور ٣٠ عامًا"[2]. لقد بَثَّتِ الأديبةُ سلامة فـي هذه الـمَجلّة آراءَها حيالَ مشاكل الـمرأة الاجتماعيّة، كما نَشَرتْ بعضًا من شعرها ومُناظراتها ومُساجلاتها الأدبية. وتضمَّنتِ الـمجلّةُ أيضًا "تَرجماتٍ لبعض الفلاسفة الأوروبيِّين، ومُناقشاتٍ حولَ السِّياسة السوريَّة، فضلًا على أخبار الكنيسة ومواضيعَ فـي التربية والعلوم والطبّ. وقد أصبحت فيما بعدُ بمَنْزلة الناطق الرسمي للنادي الحِمْصي فـي سان باولو"[3]، وفَضْلًا عن ذلك كانت الـمَجلّة "تَنْشرُ صُورَ حفلات زفاف أبناء وبنات الجالية السُّورية التي هاجرت إلى سان باولو"[4]. وبالإضافة إلى "مقالات سلوى سلامة الكثيرة فـي مجلّتها الكَرْمة، نَشَرت فـي الأهرام

مـجلـّة تُـصْـدرها امـرأة سـوريّة فـي الـمَهْجر الأمـريـكي الـجـنـوبـي (انـظـر: "Sisters of Men": Syrian and Lebanese Women's Transnational Campaigns for Arab Independence and Women's Rights, 1910-1949 «رسـالـة دكـتـوراه»، نـوفـا روبـنـسُــون Nova E. Robinson، نـيُـو برونزويك، نيوجرسي، الولايات الـمتّحدة الأمريكية، ٢٠١٥ م، ص٥٩).

[1] عندما تُوفِّـيَ جورج أَطْلس، ترك لسلوى سلامة ستّةَ أبناء أصغرُهم فـي الشهر الأوّل من عمره؛ وقد استطاعَتْ وَحْدَها القيامَ بهذا العِبْء فـي تربية الأولاد ومتابعة إِصْدار مجلّة الكَرْمة.

[2] انظر: مُعْجَم أَعْلام النِّساء، محمَّد التونجي، ص١٠٦؛ وأدبنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكية، ص٤٥٤.

[3] انظر: Making Nations, In The Mahjar: Syrian And Lebanese Long-Distance Nationalisms In New York City, São Paulo, And Buenos Aires, 1913-1929، ص٢٤٩.

[4] انظر: "Sisters of Men": Syrian and Lebanese Women's Transnational Campaigns for Arab Independence and Women's Rights, 1910-1949 (رسالة دكتوراه)، ص٥٩.



والـمُقْتَطَف والعروبة، ونَشَرت كتابًا عن تاريخ البرازيل"[1]. كما كانت بعضُ كلماتها تُنْشَر فـي جريدة السائح فـي نيويورك أحيانًا[2].

لم يُعرَفِ انْضمامُ الأديبة سلوى سلامة إلى أيّ رابطة أدبيَّة. وقد صَدرَ لها عدّةُ كُتُب[3] هي: الكلمات الخالدة[4] (١٩٢٣ م) وحديقة خُطَب (١٩٢٨ م) وجرَّة الـمنّ (١٩٣٠ م) وأَمامَ الـموقِد[5] (١٩٤١ م)، فضلًا عن إشرافها على مجلَّة الكرمة ونشر مقالاتها وأشعارها فيها.

ويُذكر أنَّ "الجالية العربية فـي البرازيل احتفلت بيُوبيل مجلّة الكرمة الفضّي سنة ١٩٣٩م، وجمعت مبلغًا من الـمال وفَّى نفقات الحفلة التي أُقيمَت لها؛ وخُصِّص الـمبلغ

---

[1] انظر: مُعْجَم أَعْلام النِّساء، محمَّد التونجي، ص١٠٦.

[2] انظر مثلًا خطبتَها بعنوان: «طُوِيَ العِلْم»: السَّائِح، السَّنة الثلاثون، العدد ٧٣، نيُويورك، الخميس ٢٨ كانون الثانـي، ١٩٤٣ م، ص٥.

[3] يَذْكر كِتاب: أَديبات عربيَّات أن سَلْوى سَلامة أَلَّفَت ثَلاثةَ كُتُب هي «الـمَنّ والسَّلْوى» و «كَلِمات خالِدة» و «تاريخ البرازيل»، ولكنَّ الكاتبةَ وَضعَتْ غيرها كما هو مَذْكورٌ فـي الـمَتْن، فضلًا عن أنَّ عنوانَ الكِتاب الأوَّل هو «جرَّة الـمنّ» وليـس «الـمَنّ والسَّلْوى» (انظـر: أَديبات عربيَّات – سِـيَرٌ ودِراسات، عيسَى فَتُّوح، الجزء الأوَّل، الطبعَة الأولى، ١٩٩٤ م، ص٨٨).

[4] جمعت سلوى سلامة فـي هذا الكتاب «الكَلِمات الخالِدة» بعضَ ما نُشِرَ من خُطب زوجها جورج أطلس فـي جريدتَـي الاتِّحاد والزهراوي ومجلّة الكرمة، مثلما ذكَرَتْ فـي صفحة غلافه.

[5] جاء عنوان هذا الكتاب «حَوْلَ الـمَوْقِد» فـي مُعْجَم أَعْلام النِّساء (انظره ص١٠٦)، والصَّحيح: «أَمامَ الـموقِد».



الـمُتَبَقِّي لشراء منزل لائقٍ بسلوى سلامة تقطنُه مع أولادها، وقُدِّم لها مفتاحه الذهبي فـي الحفلة نفسها. وحضر الحفلةُ عددٌ كبير من الأدباء والصحفيين وأبناء الجالية، وكان ابنُها «جوليُو» يحرِّر القسمَ البرتغالي فـي جريدة «الأنباء» التي كان يصدرُها الأديب الدكتور عبد اللَّطيف اليونس فـي سان باولو، قبلَ انتقاله إلى الأرجنتين وإصدار جريدة «الوطن» فـي عاصمتِها. كما كان الشاعر الـمَهْجري نبيه سلامة، نسيب سلوى «عَمَّته»، يحرِّر القسمَ العربـي"[1].

لقد أجمعَ كلُّ من عرفَ هذه الأديبة، فـي الـمَهْجر وغيره، على أنَّها كانت أَهْلًا للاحترام والتقدير والاستقامة. ولقد قال فيها الشاعرُ الـمَهْجري توفيق ضعون وفـي مجلَّتها الكرمَة، وفـي ذلك كِنايَةٌ وتَعْريض:

يا «كَرْمَةً» أَسْكَرَتْ بالرَّاحِ أَنْفُسَنا فكانَ سُكْرٌ، ولكن يَفْضُلُ الصَّحْوا
الـمَنُّ يا قَوْمُ والسَّلْوَى «لِماظَتِها» وَلْلحَزينِ إِذا اشْتدَّ الأَسى «سَلْوَى»

تُوفِّيَت سلوى سلامة فـي العاشِر من شهر شباط سنة ١٩٤٩ م[2] عن عمرٍ ناهزَ ٦٦ سنة، بعدَ أن تركت رصيدها من الأدب الـمهجري؛ ودُفِنَت فـي سان باولو بالبرازيل.

---

[1] انظر: أديبات عربيَّات - سِيَرٌ ودراسات، عيسى فَتُّوح، الجزء الأوّل، ص٨٨؛ وأدبنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكية، ص٤٥٤.

[2] يُشير أدهم آل جندي فـي كتابه «أعلام الأدب والفنّ» إلى أنَّ سلوى سلامة تُوفِّيت سنة ١٩٤٥ م، بينما تشيرُ مراجع أخرى إلى أنَّها تُوفِّيت سنة ١٩٤٩ م (وهذا هو الصحيح). وعلى كلِّ حال، هناك الكثيرُ من =



الفصل الثاني: سلوى سلامة - الكاتبة والأديبة

لقد امتازت خُطَبُ سلوى سلامة بالرَّصانة والتأثير، فكانت تُلْهِب العواطفَ بوطنيَّتها الصادقة وحُضُورها ونَفَسِها العُروبـي الوارف؛ كما كانت ذاتَ خُلُقٍ ورِفْعَة وتضحية، وَدُودَةً مخلصَة[1] ووَفِيَّة[2]؛ وتعدُّ "أوَّلَ سيِّدة حِمْصيّة وقفت على الـمنابر وخاطبتِ الجماهير"[3]. ومن خطبها الرنَّانة ما قالته فـي حفل مجلّة الكَرْمة التي عُقدَت لتَأْبين السيّد اثناسيُوس عَطا الله مِتْروبوليت حِمْص وتَوابِعها للرُّوم الأَرْثوذكس، حيث استهلَّت خِطابَها الذي عَنْوَنته باسم «قاطِرات الأَجْيَال» بقَوْلها:

"لكُلِّ مَوْقفٍ من مواقِف الخِطابة رُوح، ولكلِّ فقيدٍ دَمْعَة، ولكُلِّ مَوْضوعٍ شَأْن، ولكُلِّ بَحْثٍ مَرْمى.

= الأخطاء فـي وَفَيات الأعلام فـي كتاب أدهم آل جندي (انظر: أدبنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكية، ص٤٥٤؛ ومعجم أعلام النِّساء، ص١٠٦؛ وتاريخ حِمْص، منير أَسْعَد عيسى، الجزء الثَّانـي، مُطْرانيَّة حِمْص للروم الأَرْثوذكس، ١٩٨٤ م، ص٥٢٦).

[1] انظر: حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٨ م، صفحة: أقدِّم كتابـي.

[2] ومـمَّا يدلُّ على ذلك ما جَمَعَتْه من مقالات زوجها وخُطَبه فـي كتابها: «الكلمات الخالدة»، أو نشرَتْه له ضمن كتابها: «أمامَ الـمَوْقد» (سلوى سلامة أطلس، دار الطباعة والنشر العربيّة، سان باولو، البرازيل، ١٩٤١ م). ولكن، فاتَها أن تنشرَ وتجمع له فـي كتاب أو ديوان مُسْـتقلّ ما نَظمَ من شعر، حيث لم يَصلْني أنّها فعلَتْ ذلك.

[3] أدبيات عربيَّات – سِيَرٌ ودراسات، عيسى فَتُّوح، الجزء الأوَّل، ص٨٧.



مَوْقَفي اليَومَ، أيُّها السَّادة، لا مَوْقِفَ دُموع، ولا مَوْقِف بَحْث، بل هو مَوْقِفُ تَأَمُّلاتٍ مُحلِّقة فـي جَوِّ هذا الوجود.

رجَعَتُ إلى فاتحة التَّاريخ، إلى فَجْر السِّنين، يَوْمَ أَذِنَ محرِّك الكُلّ بتَسْيير طليعَة قاطِرات الأَجْيال.

رجَعْتُ وجلَسْتُ بالقُرْب من مُنْعَطف الوادي أَتأَمَّلُ انصبابَ سَيْلِ القاطِرات فيه.

قاطِراتٌ تسير الهُوَيْنا، وقاطِراتٌ مُسْرِعاتٌ، مُثْقَلاتٌ، قاطِراتٌ كُلُّها قاطِرات؛ لا فَرْقَ بَيْنها شَكْلًا ونَحْوًا، كُلُّها تَسِيرُ إلى الأمام، كُلُّها تَنْحُو نَحْوَ الجهة الواحدة، لا فَرْقَ إلَّا فـي السَّيْر، فما هُوَ السِّرُّ يا تُرى؟

نَظْرَةٌ للمُتأَمِّل، وبَحْثٌ للدَّارِس، ومَوْضِعٌ للخطيب.

قاطِراتٌ مُثْقَلاتٌ تُسابِقُ الرِّيحَ فـي سَيْرِها، وقاطِراتٌ مُثْقَلاتٌ تَنُوءُ تَحْتَ أَحْمالها غَيْر عابِئَة بالـمُسْرِعات، فما السِّرُّ؟

الأَحْمالُ مُتَساوِيَةٌ حَجْمًا، والقاطِراتُ لا تَخْتلفُ شَكْلًا، والطَّريقُ واحدة، فما عِلَّةُ هذا التَّفاوُت؟

قاطِراتُ الأَجْيال، قاطِراتُ الأَجْيال تَحْمل سِرًّا، سِرَّ ثِقَلها وخِفَّتها، سُرْعتها وبُطْئها؛ وذلك السِّرُّ هو النَّوْعُ - نَوْعُ الأَحْمال لا شَكْلها"(1).

فـي هذه الخطبة أرادت الأَديبةُ سلوى سلامة أن تقولَ: إنَّ هذه الحياةَ محطَّاتٌ تمرُّ عليها قاطِرات، وهـذه القاطِراتُ متشـابهةٌ، لكنَّ من تحمله ومـا تحمله هما الـمُخْتلفان؛ فكَمْ حملت

---

[1] زَفَرات القُلوب لِفَقْد الرَّاعي الصالح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أَسْعَد، مطبعة السلامة، ١٩٢٣ م، ص٣٢٨.



من رجالٍ وشخصيَّات عظيمة! من الأنبياء والعلماء والأدباء والباحثين؛ كما حملت أشخاصًا من أهل السُّوء والشرّ.

لقد كانت سلوى سلامة غايةً فـي التواضُع، لا تَسْعَى إلى مَدْحٍ وتَقْريظ، بل إلى نقدٍ وتَصْحيح، وهذا ما نَلْمسُه فـي مقدِّمة كتابها «حَديقة خُطَب»[1]، كما نلمسُه جليًّا فـي تَقبُّلها لـمقدِّمةٍ دَبَّجها الأديبُ الـمَهْجري الكبير نظير زَيْتُون لهذا الكتاب نفسه، حيث انتقد البناءَ اللغوي لبعض جُملِها وعباراتها، كما انتقدَ موقفَها و «تَحامُلها على الرجل السُّوري والـمَرْأة السُّوريَّة»[2]. وقد أَمْعَنت سلوى سلامة فـي سلامة طوِّيتِها ونقاء دَخيلتها؛ حيث صدَّرت كتابَها اللاحِق «أَمامَ الـمَوْقد» بإهدائه للأديب نظير زَيْتُون الذي انتقد نُصُوصًا لها سابقًا – كما ذكرنا – وكالَتْ له من التَّقْريظ والعِرْفان والشكر ما لا يقولُه إلَّا صافـي قَلْبٍ وسريرة، فقالت فيها قالت: "إلى الأديب الكبير والكاتب الـمُلْهَم، إلى النابغة الذي رصَّعَ الأدبَ بآياته البيِّنات، وأَلْبسَ جِيدَ الفُصْحى من روائع قلمه وبدائع وَحْيه ما فاخرَ به أعلامَ الغابرين وما يُسابق بروعته عَذارى قرائِح نوابغ الآتـي ..."[3]. كما أَنَّها بشهادتِها هذه تَسْمُو وتحلِّق مع الذين يَشْهَدون بالفضل والعلم لأَهْلها.

[1] انظر: تاريخ حِمْص، مُنير أَسْعَد عيسَى، الجُزْء الثَّانـي، ص٥٢٦.

[2] انظر: حَديقة خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٢، ٣.

[3] أَمامَ الـمَوْقد، سلوى سلامة أَطْلَس، دار الطِباعَة والنَّشْر العربيَّة، سان باولو، البرازيل، ١٩٤١ م، صفحة الإهداء. وهذا الكتابُ هو مجموعةٌ من بعض الحكاياتِ التي كانت تنشرها الكاتبةُ على صفحات مجلّة الكرمة، بعضُها من تأليفها وبعضُها لآخرين.



ووصلَ التواضُعُ بالأديبة سلوى سلامة شَأْوًا بعيدًا حينما وصفت نَفْسَها فـي مقدِّمة كتابها «جَرَّة الـمَنّ» بالعاجزة، حيث قالت: "كلمَةٌ عَنَّ لـي، فـي مَطْلع أَسْطُري هذه، نشرُها ... فلقد ألَحَّ عليَّ عددٌ من طالبي الـمُطالعة ومحبِّيها، واقترحوا على هذه العاجِزة جمعَ بعض مقالاتها الـمُخْتَصرة ذات الـمغازي الجميلة. لهذا لَبَّيْتُ الطلبَ وعمدتُ إلى إصدار هذه الـمَجْموعة من مقالاتـي ..."(1).

كما عبَّرتْ سلوى سلامة عن تَواضُعِها شِعْرًا فـي إحدى الحفلات الخِطابيَّة، فقالت:

"أَكْرَمْتُمُ العِلْمَ في شَخْصي الوَضيعِ لِذا أَنُـوبُ عَنْـهُ وأَهْـدي الكُـلَّ شُـكْرانا
وإِنْ بَـدا دُونَ قَصْـدٍ فـي مُحاضَرَتـي ما أَزْعَجَ السَّمْعَ أَرْجُو الجَمْعَ غُفْرانا(2)

وقبلَ الـمَضيِّ أكثر فـي أدب سلوى سلامة، أودُّ أن أخطَّ ما كتبه عنها زوجُها جورج أَطْلس، حيث يقول: "وفـي السنة نفسِها، سنةَ ١٩١٣ م، سافرتُ إلى سورية للسياحة وللمتاجرة بالسجّاد العَجمي، وكنت قد سمعتُ بالآنسة سلوى سلامة إحدى بنات وطني حمص، فقَصدتُها لأتعرَّفَ إلى الآنسة الـمَذْكورة، ولها من شهرتها كتابةً وخطابةً ونَظْمًا ما أوجدَ فـي قلبي الـميلَ إليها قبل أن أراها؛ وإِذْ تَسنَّى لـي ذلك، وأرادَ الإلهُ العارف خفايا القلوب ومن يُعْطي الإنسانَ حسب نوايا قلبه أن تكونَ نصيبي، كانت هي فاتحةَ الخير؛ إذ بتَنْشيطِها لي أزالت غشاوةَ اليأس عـن عَيْني، وأعادَت إلـيَّ الثقةَ بنفسي، وأَنْسَتْني ما انتاب

(١) انظر: جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أَطْلَس، دار الطباعة والنشر العربية، سان باولو، البرازيل، ١٩٣٠ م، ص٤.

(٢) حَديقَةُ خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص١٠٩.



قلبي من الوحشة والأحزان، وساعدتني علـى إظهار مواهبي، فأصبحتُ قريرَ العين مسرورَ القلب، وأخذتُ أكتب باللغة العربية ما تُساعدنـي عليه معارفـي الضَّئيلة فيها. وكانت هي معلِّمتي ومساعدي الأكبر على ترجمة أفكاري إلى لغة آبائي وأجدادي. وهكذا، سِرْنا باسـم الله مَجْرانا. وبعـد زواجنا الذي تمَّ فـي حِـمْـص ٣٠ كانون الثانـي/يناير سـنةَ ١٩١٣ م سُـحْنا فـي لبنان وسـوريَّة ومصر وأوروبّا، فزُرْنا عـواصمَها كلّها تقريبًا، واستمرَّت سياحتُنا هذه سنةً من ٩ آذار/مارس إِذْ وَدَّعنا حمص إلى ٩ آذار إذ دخلنا البرازيل. وفيما احتفى بنا القومُ احتـفاءً باهرًا، وبعدَ أن عـوَّلنـا علـى السَّـفَر إلـى كنـدا، أشـعلتُ الحربُ نيرانَها سنةَ ١٩١٤ م فـي شـهر آب/أغسطس، فاضْطررنا أن نبقى مرغَمَيْن إلى أن يَمُنَّ اللهُ بالفَرَج "[1].

نظرًا إلى أنَّ سلوى سلامة كانت كاتبةً وخطيبةً مُفوَّهَة فـي معظم نِتاجها الأدبـي، بينما قلَّ نِتاجُها الشعري واقتصرَ على قلّة من القصائد، لذلك سنركِّز فـي هذه الدراسة الوَجيزة عنها على الجانب الأوَّل، ثمّ ننشرُ بعضَ قصائدها (حيث أَفْردتُ لكامِلِ شعرها كتابًا منفصلًا).

وأُشـيرُ هنا إلـى أنَّني لـم أَجِدْ أيَّ دراسـةٍ عن هـذه الأديبة الـمهجريَّة، حتَّى لَيُظنَّ بعضُ الباحثين والـمهتمِّين بالأدب الـمَهْجري أنَّه لا يوجد فـي هذا الـمَيْدان سـوى الشُّـعَراء والأدبـاء الذُّكور[2]. بـل إنَّ أهمَّ الـمَصـادر والـمَراجع التي عُنيَت بهذا الأدب

---

[1] انظر: الكَلِمات الخالِدة، سلوى سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٣ م، ص١٥، ١٦.

[2] يَبْدو أنَّ ما اشتُهرَ من الـمراجع عن أَدَب الـمَهجر لم يُولِ أَعْمالَ الأَديبات الـمَهجريَّات، على قلَّتهنّ، اهتمامًا؛ ففي كتاب «أدب الـمَهجرِ بين أصالة الشَّرْق وفِكْر الغَرْب» أفردَ الكاتب بضعَ صفحات فقط، من =



لـم تَذْكرُ لـها بيتًا واحدًا من الشِّعْر[1]، لذلك ساوَرنـي كثيرٌ من الرَّيْب فـي أن تكونَ شاعرة؛ وأزيدُ علـى ذلك أنَّ هذه الـمَراجعَ لم تَحْفل بهذه الأديبة بتاتًا، ففي كتاب «أدب الـمَهْجَر» للدكتور عيسـى النَّاعُوري (وهو من أهمِّ الدراسات فـي أدب الـمَهْجر) لم يَرِدْ ذِكرُها إلَّا عُبُورًا فـي بضعة أسـطر كخطيبة وصِحافيَّة[2]، بينما اكتفى الدكتور محمّد عبد الـمُنْعِم خفاجي فـي كتابه «قِصَّة الأدب الـمَهْجَري» بالإشارة إلى أنَّها صاحبةُ مجلَّة الكَرْمة[3]. ومن الجدير بالذكر أنَّ هناك الكثيرَ من الـمقالات التي تتحدَّث عن أدباء

= الكتاب الذي بلغ عددُ صفحاته ٦١٥ صفحة، للحديث عن الـمَرأة فـي الـمَهْجر دون أن يَذْكرَ إِحْداهنّ (انظر: أدب الـمَهْجر بين أَصالة الشَّرْق وفِكْر الغَرْب، د. نَظْمي عبد البديع محمّد، دار الفِكْر العربـي، ص٢٣٢-٢٣٥).

[1] مع أنَّ كتاب «أديبات عربيَّات» أَفْردَ لها مقالةً كاملة، لكنَّه لم يُشِرْ إلى أنَّها كانت تَقْرضُ الشِّعْر (انظر: أديبات عربيات - سِيَرٌ ودراسات، عيسى فَتُّوح، الجزء الأوّل، ص٨٧-٩٠).

[2] لم يذكر النَّاعوري لها شِعْرًا ولا نَثْرًا، وذكر أنَّ الذي رعاها شقيقُها جورج أَطْلس (بل هو زوجها، فشَقيقها الذي أسهم فـي تعليمها اسمه حبيب)، ثمَّ عاد فقال عن جورج أَطْلس إنَّه زوجُها (انظر: أدب الـمَهْجَر، الدكتور عيسى النَّاعُوري، دار الـمعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧ م، ص٣٦).

[3] قِصَّةُ الأَدَب الـمَهْجَري، الدكتور محمّد عبد الـمُنْعِم خَفاجي، دار الكِتاب اللُّبْنانـي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م، ص١٣٤. وقد خَصَّ الـمؤلِّفُ النَّثْرَ الـمَهْجري بنحو ٥٠ صفحة، لكنَّه لم يأتِ على ذِكْر أحد من الأديبات الـمَهْجريَّات، وأَخُصُّ هنا الأديبة سلوى سلامة الـمَعْنيَّة بهذه الدراسة؛ فرغمَ إِصْدارها عَددًا من الكتُب التي ضَمَّت قَصَصًا وحكايات، لم يرد شيءٌ عن أعمالها فـي هذا الكتاب، مثله مثل كثيرٍ من الدِّراسات عن أدب الـمَهْجر.



الـمَهْجر، وتخلط ما بين الكتَّاب والشُّعَراء؛ ومن ذلك مَنْ يُشير إلى أنَّ الأديبَ الـمَهْجري عبد الـمَسيح حَدَّاد، نَزيل نيويورك وصاحب جريدة السَّائِح الـمَهْجريَّة، شاعر، وهو ليسَ كذلك، وقد سُئلَ الأخيرُ مرَّةً عن كتابته للشعر فقال: "قلتُه، ولكنِّي لم أَنْشرْه"[1]؛ فإذا كان له بضعةُ أبيات أو أكثر ولم يَنْشرها، فهو ليس بشاعرٍ بحسب تَعْريف الشعراء[2].

والآن، آنَ الأوانُ لنمضيَ مع سلوى سلامة فـي أَدبِها وخُطبِها؛ فقد كانت هذه الأديبةُ ذاتَ لغةٍ عالية ولسان فصيح وبلاغة فـي التَّعْبير والتأثير.

فـي الخَطابَة

فـي خطبةٍ لها بعنوان «الـمَرْأة السوريَّة»، ألقَتْهـا فـي آذار/مارس سنةَ ١٩١٤ م بسانطوس فـي البرازيل، تقول سلوى سلامة عن الـمَرْأة الأمّ: "هي الجنديُّ الذي يَلِجُ ساحةَ مُعْتَرَك العالم، وفـي يده سلاحُ الصَّبْر، وقد تَقلَّدَ سيفَ الإخلاص. وهي الصَّوْتُ الرَّقيق الـمُحرِّك أوتارَ النُّفوس، والقيثارةُ السَّماويَّة الـموقِّعة ألحانَ السَّلام. أمٌّ وقرينة وشقيقة

[1] انظر: انطِباعات مُغْتَرَب فـي سوريَّة، عبد الـمسيح حدَّاد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢ م، ص٢٠١. ومع ذلك، وجدتُ له بعضَ الشعر فـي جريدته السَّائح وفـي مواضع أخرى.

[2] لا أدري السببَ فـي هذا الكلام لعبد الـمسيح حدّاد، فقد وجدتُ له الكثيرَ من الشعر فـي جريدته «السائح» التي كانت تصدر فـي نيويورك، ووجدتُ له شعرًا فـي كتب ومجلّات أخرى، فجمعتُه فـي ديوان باسمه ونشرتُه. والغريب أيضًا أنّ هذا التصريحَ صدرَ عن عبد الـمسيح حدّاد قبل وفاته ببضع سنين، أي بعد وقتٍ طويل من نشره شعره الآنف الذكر.



وابنة، طفلة وشابَّة وكهلة وشَيْخة، هي ملاك العائلة وجمالُ البَيْت"[1].

لقد جمعَتْ هذه الكلماتُ ما بينَ الـمَنْطِقِ الصائِب واللغة الرَّفيعة والعاطفة الجيَّاشة الصادِقة، فجاءت أعلى ممَّا جاء فـي أحد تَعْريفات النَّثْر، حيث قيلَ فيه: "وهو الكلامُ الـمَنْثور لا الـمَنْظوم، يعتمدُ على الفِكْر والـمَنْطق لا الخيال والعاطِفة، يتحكَّم فيه العقلُ والفكرُ أكثر من الـمشاعر والخَوالِج والأحاسيس؛ ومنه: القصَّةُ والروايةُ والـمَسْرحية والخطبة والرِّسالة والخاطرة والـمَقال"[2].

وليس ببَعيدٍ عن هذا الألَق الأدبـي والتَّصْوير الخلَّاب ما قالته سلوى سلامة فـي مستهلِّ خطابٍ لها بعنوان «فـي نفسِها سَيْف»، وهي تَصِف طُلوعَ الفجر ومَقْدِم الصَّباح؛ وقد ألقَتْه فـي إحدى الحفلات الـمَدْرسيَّة: "أَلْقَتْ ملكةُ النُّور تحيَّتَها على جلال لبنان، فطفَحَتْ وَجْنَةُ أُفْقِه بِشْرًا واستئناسًا، وتجَدَّدت قوى الرِّياض الناهضَة من سُباتِها الـهادي، وصَفَّقَتْ أَجْنحةُ الأطيار تَرْحيبًا بالوافدة الجميلة. وزَقْزَقَت عصافيرُ الأَدْواح، فامتزجَ بذلك صوتُ تلاطُم أَمْواج الـمتوسِّط، فَتألَّفت أُنْشودةٌ جميلة لصورةٍ جميلة هي ما نُسَمِّيه بالصَّباح"[3].

---

[1] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص١١.

[2] مدخل لدراسة الأدب (مُقَرَّر جامعي)، كلّية اللغة العربيَّة وآدابها، جامعة أمّ القرى، ٢٠١٦-٢٠١٧ م، ص١٣.

[3] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص٢٨.



وليس بعيدًا عمَّا سبق ما نثرتُه فـي مَطْلع مقالةٍ لها بعنوان، «رحمة لا نقمَة»، فـي كتابها «جَرَّة الـمنّ»، حين قالت:

"أَظْلَمَ النورُ والشمسُ تَستَّرت بحجاب الأحزان.

الخَليقةُ فـي دهشة، والطبيعة فـي أَشْجان.

ظلامَةٌ هائلة، سَفْك دمٍ زَكيّ، عدالةٌ تُضطهَد.

براءةٌ تُعاقَب؛ فيا اللهُ مِنْ جَوْر هذا الإنسان"[1].

يكادُ يكون هذا الـمَطْلعُ شِعْرًا فـي عُذوبته، وأخيلته وصدق عاطفته؛ وقد كان يحقُّ لها ذلك وهي مَنْ عرفَتْ إلى نَظْم الشعر سبيلًا.

ومن سَلْسَبيل النَّثْر عندَ سلوى سلامة هذا النصُّ الوَصْفي الرائع فـي مقالةٍ لها بعنوان «العاصفة والعاطفة»، حيث تُصوِّرُ طَقْسًا طارئًا هائجًا، فتَجْعلنا نعيش تفاصيلَه وننظر إلى مشاهِده وكأنَّها تَعْرضُ علينا مَقْطعًا سينمائيًا متحرِّكًا: "وتلبَّدتِ السَّماءُ بالغيوم، واكْمَدَّ وجهُ الأفق، وثارتِ الأَرْياحُ على الخليقة الهادئة، ووثبَتْ على الطبيعة الجميلة النائمة وصَفَعَتْها.

وَلْوَلَتْ الغاباتُ، وناحَتْ الأشجار، وبكت عيونُ الوُرُود، وانقصَفَتْ قُدُودُ الرياحين، وتفرَّقت القُرنفلاتُ والزُّهور، وتكسَّرتِ الأشجارُ فترامت إلى شاطئ الساقية التي طالَـما ظلَّلتها بأوراقها الكبيرة وظلِّها الوارِف.

---

[1] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٩.



تَمايلَ الغُبار، وتصاعَدت جيوشُه، واحتلّ الـمُقَلَ والصدور، وافتَتح الكُوى والنوافذ، وترك على الـمقاعد الـمخمليَّة غطاءً من لبَّادِه الكثيف، وغيَّرَ وجهَ الحديقة الأخضر الزُّمُرّديّ إلـى كالحٍ باهِت، فتحوَّل الجوُّ الـهادئ إلى مبعثراتٍ قَضَت عليها يدُ العاصفة ... وكانَ هُبوبُها عظيمًا"(1).

لقد فهمت سلوى سلامة الحياةَ حقَّ الفَهْم، وأَدْركت فَحْواها، فمَحَضَت لها حكمتَها وسقَتها من مَعِين خبْرتها، ولَخَّصت ما تنطوي عليه، وبلغَتْ فـي ذلك شَأْوًا بعيدًا؛ فلنُصْغِ إليها وهي تتحدّث عنها - مُثْقلةً بالحزن مرهقةً باللَّوْعَة - فـي تأبينها أحدَ أعمدة الجالية السورية فـي البرازيل:

"الحياة، وما الحياة؟

سِياحةٌ بَعُدَ شَوْطُها أو قَرُب، آمالٌ وأَمانٍ فـي أجواء بعيدة قد يحجبُها ضبابٌ كثيف، وتُبدِّدها غيومٌ سوداء.

أَفْراحٌ عُقِدت ذُيُولها بآلام.

رياضٌ غَنَّاء تكمن تحت هَشيمِها الأفاعي السامّة.

كؤوسُ خمورٍ معتَّقة، وفـي ثُمالتها السمّ الزُّعاف.

أَفْياء وظلالٌ وخيالات لحقائِقَ تُطْوَى اليومَ لتُنْشَرَ غدًا.

---

(1) جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٨.



الـحياةُ وما الـحياة؟ جهادٌ، بل ساحةُ عِراك تتَبارى فيها الـمواهبُ والـميُول، وتتسابق النزعاتُ والـهمم؛ فيسبق النشيطُ ويَعْلو الـمِقْدام، ويزهو العامل، ويخلدُ الـمُحْسِن.

ينتهي الشوطُ مهما طالَ وبَعُد، «يُظْلم النورُ من النافذة، وتُكسَر الجرَّةُ على العين، ويَنْفصم حبلُ الفضّة»؛ فتُطوَى الستائر البائدة، وتهوي الـمادّة، وترتفع الحقيقة التي هي النفسُ الخالدة راجعةً إلى «الـمَحَلِّ الأَرْفَع»، إذ ذاك تُنْشَرُ طُيُوبُ أعمال الراحلين الذين أَتَوْا العالمَ فكانوا جُنُودًا أُمناء في عراك الحياة، فخرجوا منها ظافرين وعلى رؤوسهم أكاليلُ الـمجد، وفوق صدورهم أوسمةُ الفَخار.

لقد عاشوا مخلصين، وأَحْسنوا إلى العالم، وتركوا بعدَ رحيلهم خُيُوطًا من نور بما عملوه من صالح الأعمال وخِدْمة القريب ومناصرة البائسين، فكانت تلك الـمآتي بمَنْزلة مصابيح وهَّاجة ساطعة تنير سبيلَهم إلى الـمَجْد الخالد؛ وشَتَّانَ بين من يعيش لنفسه فقط، وبموته يُطْمَس ذكرُه، وبين من يقضي جُلَّ حياته في سبيل نَفْح الآخرين ونُصْرَة البائسين"(1).

بهذا البيان السَّاحر طابَ لسلوى سلامة حديثُها عن الحياة؛ فكادت تقول: طُوبى لـمن استعملها ولم تستعمله، فَتَنها بخيره وإحسانه، ولم تَفْتِنْه بزينتها العابرة وزُخْرفها الزائل؛ طوبى لـمن ترك فيها بصماتِ الـمَعْروف وصالح الأعمال، وبئس مَنْ غرَّته فحاد عن الطريق

[1] جريدة السائح، نيويورك، السَّنة الثلاثون، العدد ٧١، الخميس ٢١ كانون الثاني، ١٩٤٣ م، ص٤. وقد كان الحديثُ عن إبراهيم ديب، أحد فُضَلاء الجالية العربيَّة ومُحْسِنيها في البرازيل.



وتنكَّب السَّبيل، فأَحْجمَ - رغم استطاعته - عن رفد الـمُحْتاجين والـمُسْتَضْعفين بأسباب الحياة والبقاء والكرامة؛ وتعسًا لـمن ظلمَ وجار وطغَى.

فـي القِصَّة والحكايَة

لكنَّ سلوى سلامة لم تَقْتَصِرْ مقالاتُها على الخُطَب، بل نَحَتْ فـي بعض الأحيان مَنْحى القصَّة[1]، ومن ذلك مقالةٌ لها بعنوان «مدينة الـمَلْجأ» أخذت طابعَ القصَّة الرمزيَّة، حيث تبدأ هذه الـمقالةُ بتصويرٍ جميل لإحدى ليالي الشِّتاء الباردة، وتُفْرِد لذلك التَّصْوير وَصْفًا لائقًا جاذبًا، فها هي تقول: "انتصفَ الليلُ، وسكَنت الـمَخْلوقات، وذلك التائه لم يزل يُواصِل السيرَ تَحْت هزيم الرَّعْد وهَطْل الأمطار إلى أن لحظَ عن بعيدٍ نُورًا ضئيلًا على هضبة، فخفقَ فؤادُه طربًا، وقال: ها ها، هذه مدينةُ الـمَلْجأ، إنَّني لـمَواصلٌ السيرَ فـي هذا الليل الدَّاجِي علَّـي أَصِل إليها فأَسْتريح وأَسْترجع ما خسرتُه فـي سبيل الوصول إليها"[2]. ثمَّ تَمْضي فـي حديثها عن عابرٍ لذلك اللَّيْل، خائضٍ فـي تفاصيله وتَقلُّباتِه، فمن هو ذلك

[1] بدا ذلك جليًّا فـي الحكايات التي سَردَتْها فـي كتابها «أمام الـمَوْقد»، مثل قصَّة «الأم الغريبة» ص٥، وقصَّة «ضايع الإِنْصاف» ص١٧، وقصَّة «أغنى إنسان» ص٢٩، وقِصَّة «الأَخَوان» ص٣٣. كما وردت للكاتبة قَصَصٌ أخرى فـي كتابها «جَرَّة الـمَنّ»، مثل قصّة «العاطفة الـمُسْتَعارة» ص٥٠، وقصَّة «لأَجْلِ أمِّي» ص٥٤، وقصَّة «أمام الـمَهْد» ص١٠١، وقصّة «مَنْ يجدها» ص١١٢؛ وفـي كتابها «حديقة خُطَب»، مثل ما جاء فـي سِياق خُطْبتها «من هو السَّارق؟»، ص٤٧.

[2] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص١٩.



العابر؟ ما خطبُه؟ ماذا يريد؟ إنَّ فـي تلك القصَّة تفاصيلَ وإجاباتٍ ورؤًى جديرٌ الوقوفُ عندها، والاهتمامُ بها؛ فالهائمُ العابر هو الإنسانُ الذي لا ملجأَ له - بعدَ الله تعالى - إلَّا ذِراعه ونفسه وكلّ يدٍ بيضاءَ فيمَن حوله. أمَّا الشيخُ الذي دارت القصَّةُ حولَه، وكان ناصحًا أَمينًا للشاب الباحث عن الـمَلْجأ، فهو الزمان. نعم، هو الزمانُ بما ينطوي عليه من عِبَر وسِيَر وأحداث وعواقب ومُسْتَخْلصات. لقد أنفق الشيخ الناصِح، الذي نابَ عن ذلك الزمان، عباراتِ القصَّة وتفاصيلها وأركانها وهو يَسْتعرضُ أمامَ الشاب كيف تغيَّرت الأحوال، وكيف انقلبتِ الأمورُ والـموازين، وكيف باتت النظرةُ للأشياء. ولم ينسَ أن يعتبَ على الحضارة الجديدة بما أفرَزَتْه من تقانة رفَّهتِ الجسدَ وأهملتِ الروح، أراحَتْ الأعضاءَ وشوَّهت النفوس، وفعلَتْ ما فعلت مـمَّا لا يجهله اليومَ عاقل.

ومن قَصَص الكاتبة قصَّةٌ بعنوان «الياسمينة» أو «ذاك شأنُهم». وفـي هذه القصَّة تبدأ سلوى سلامة الكلامَ بمطلعٍ مطابق لما بدأت به مقالةً لها بعنوان «العاصفة والعاطفة»[1] عن طقسٍ هائِج يكسر نوافذَ البيوت ويقتلع الأشجارَ ويأتـي على الزُّهور. ومن ذلك ياسمينةٌ بيضاء جميلة تَغْدو بين أكوام الفضَلات والحَطيم، فتراها ابنةُ بُسْتانـيٍّ حمل تلك الفضلات والبقايا لرَمْيها بَعيدًا، ويدورُ حديثٌ رمزيّ بين الفتاة والياسَمينة، يخلصُ إلى أنَّ الناسَ لا تَعْبأ بالأشياء إلَّا وهي فـي ذروة الـمجد، لأنَّها مَخْدوعةٌ بالـمظاهِر مأخوذةٌ بها؛ فعندما تكون الياسَمينةُ على عودِها نضرةً ناصعة يتغنّى بها العشَّاقُ والـمُحبُّون، وعندما تُقتلَع وتَذْوي يَرْمونها جانبًا.

[1] انـظـر: جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٨، ص٣٣.



ومن بديع نَثْر الكاتبة تلك القصَّة الحِواريَّة القصيرة التي عَقَدَتْها بينَ ثلاث زَهْرات، وقد اختارت لها عنوانًا «ثلاث وَرْدات». وفيها تسوقُ لنا ثلاثَ قَصَصٍ رمزيَّة من ثلاث زهرات، كأنَّها تريد أن تقولَ إنَّ تلك الزَّهْرات هي نسخةٌ أو تَناسُخٌ مـمَّا رَقدَ تَحْتها، وهي بذلك ترسلُ برسائلَ هادفةٍ سَعَتْ إليها:

"تحت ظلال السَّرْو الجميل، وفـي تربةٍ مُقدَّسة ضمَّت بقايا الأحباب نَبْتَت ثلاثُ وَرْداتٍ: الأولى ناصِعَة الجبين، الثانية قانِيَة الخدّ، الثَّالثة صَفْراء ذابِلَة الـمُحَيّا.

بين تَموُّجـات نَسـمات الصباح وبزُوغ أشعَّة الشمس، وبين سُكُون النائمين الـمَغْبُوطين، كان يُسْمَع حديثٌ رقيق ومناظرة جليلة تُفاخِر بها كلٌّ من الوَرْدات الثَّلاث:

قالت الأولى:

نَقاءُ ثَوْبـي وبياضُ وجهي هـما صفحةٌ بِلَّوْرية جميلة تظهر للعِيان، نَبَتُّ هنا فـوق ضـريح فتاةٍ نقيَّة، فامْتَصصتُ دمـاءً طاهرة، وظهرتُ بـها بيضاءَ الثَّوب نقيَّةَ الوجه كقلبِ سـاكنة هـذا الرَّمْس. كيف لا والضَّريح يضمُّ بين جانبيه عَذْراءَ عاشت طاهرةً، وماتت نقيَّةً كوجه الصباح.

قالت الثانية:

قـد يكون كما تقولين. ولكن أنَّى لكِ احـمرارُ وَجْنتي ولـمعـان وجهي، نَبتُّ هـنـا فوق ضريح جنديٍّ قُتِل فـي الحرب، وسُفِكت دماؤُه الشريفة فـي سبيل الوطنية؛ ولذا تَرَيْنَني زاهيةً لامتصاصي تلك الدِّماءَ التي روَّت تلكَ التربة.



قالت الثالثة:

أمَّا أنا الصَّفراءُ الذابلة فلستُ على شيء ممَّا تَقُولان؛ نَبَتُّ هنا على ضريح زوجةٍ أمينة وأمٍّ فاضلة قَضَت في سبيل الأمومَة، وقاسَتْ من مِبْضع الجرَّاح أشكالًا من الألم، ولم تَصِلْ إلى القَبْر إلَّا بهيكلٍ من العظام. ولهذا، نشأتُ نحيلةً صفراء ذابلة، ولا من دماءٍ هناك لأَغْتذي بها"(1).

ومن القَصَصِ ذات العِبْرة والفائدة والجديرة بالسَّرْد هذه القصَّةُ ما بين تاجرٍ وصَيْرفيٍّ، وقد جاءَتْ بعنوان «ضايع الإِنْصاف»"(2)؛ وفِيها تَسْردُ سلوى سلامة حكايةً ذات مَغْزَى، عن شخصٍ فقير يتَّصف بالوداعة والسَّذاجة، إذ صادفَ في أحد الأَيَّام أَنْ خطرَ له خاطرُ النَّكْش في قطعة أَرْضٍ قريبة من بيته ليزرعَ فيها شيئًا من الخضرة يَنْتفعُ بها. وبينما هو كذلك وجدَ في جوف الأرض جرَّةً مليئة بالذهب، ففرح بها وامرأته وأَبْقاها في مكانها، وأخذ منها قطعةً صغيرة وذهب إلى جاره الصيرفي ليبدلَ هذه القطعةَ بدراهم دارجة، فصرفَها له، واشترى بها الفقيرُ ملابسَ وأحذيةً وأثاثًا، وأعاد الكرَّةَ هذه عدّةَ مرَّات.

عرضَ عليه الصَّيْرفي أَنْ يُعْطيَه كيسًا مملوءًا بالذَّهَب والفضَّة والحُلِيّ على أن يَدُلَّه على مكان تلك القِطَع الذهبيَّة، وإلَّا سيُخبر الحكومةَ بالأمر. ذهبَ الفقيرُ والصَّيرفي إلى مكان اللُّقْطَة. وبعدَ وصُولهما، وبعدَ أن تأكَّدَ الصَّيْرفي من خُلوِّ الـمكان من الناس، عاجلَ

[1] انظر: جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص٢٨.

[2] أمام الـمَوْقد، سلوى سلامة أطلس، ص١٧.



الفقيرَ فـي صدرِه بسكّين كان يخبِّئها. وعندما أَحسَّ الفقيرُ أنَّه مائِتٌ لا محالـة طلبَ منه أن يَذْهبَ إلى بيته، فيُخْبر امرأتَه الحامل فـي الشَّـهر السَّـادِس أن تُسمِّي وَليدَها «ظَليمَة النِّساء» إذا كان أنثى و «ضايع الإنصاف» إذا كان ذكرًا.

كان الـمَوْسمُ موسمَ حجّ والناسُ تترك أَرْزاقَها وأموالها أمانةً عند الآخرين. ومن هؤلاء تاجرٌ غنيّ وضعَ مالَه فـي ثلاث خوابـي «خَوَابٍ» وأودعها فـي أَرْض صيرفـيّ ذي شهرة عظيمة، دون أن يعلمَ الصيرفـي ما فيها وأين مكانَها بالضَّبْط، وانْصَرف.

عاد الحَجَّاجُ بعد نحو سنتين ومعهم التاجرُ الذي توجَّه، إِثْرَ انتهاء مراسم التَّهْنئة والـمباركة، إلى بيت الصيرفي ليستردَّ الأمانة، فأجابه إنَّها موضوعةٌ كما تركتها فـي ذلك الـمكان ومُحْكَمة الإغلاق. وعند فتح الخَوَابـي وجدَها مليئةً بالزيت بدلًا من الذهب. وبعدَ أَخْذٍ وردٍّ وجدال، تَشاجَرا وتَلاطما، ووصل الأمرُ إلى الـمحكمة. ومرَّت الأَيَّامُ والقَضيَّةُ تُراوح مكانَها إلى أن ضاقَ صدرُ القاضي وحارت حيلتُه.

قرَّر القاضي أن يسيرَ مع مستشاره الخاصّ إلى الـمزارع القريبة حولَ مكان الخَوابـي حتَّى وصلَ إلى مزرعة منفردة فيها أولادٌ يلعبون بشكل منظَّم. وبعدَ حيلةٍ من القاضي، أقام الأولادُ بتوجيهٍ منه ومن مساعدِه ما يشبه محكمةً مصغَّرة للتاجر والصيرفـي اللذين انتشرت قضيَّتُهما بينَ الناس. مَثُلَ أمامَ القاضي الصغير ولدان، أحدُهما يمثِّل التاجرَ والآخر الصيرفـي، وسردا قضيَّتهما الـمماثلة لقضيَّة التاجر والصيرفـي؛ ثمَّ طُلِب منهما أن يأتياه بقليلٍ من الزيت الـموجود فـي الخَوابـي. سأل القاضي الصغير:

لـماذا يُستعمَل الزيتُ فـي السَّنة الأولى؟ فقيلَ له: للأكل؛



قال: وفـي الثانية؟ فقيل له: للإحراق؛

قال: وفـي الثالثة؟ قال: للصَّابون.

غَمسَ القاضي إصبعَ يده فـي الزَّيْت، وذاقَه وعرضَه على كبير الـمُحَلَّفين، وقال: ماذا وجدت؟

قال: إنَّه صالح للأكل يا سيِّدي؛

قال: إذَن هو زيتُ السَّنة الحالية.

وفعلَ مثلَ ذلك الـمُحلِّفون الكرام. عندئذٍ أمرَ القاضي الصغير أن يُطرحَ ممثِّل الصيرفـي فـي الأرض، وأن يُجْلَدَ إلى أن ينطقَ بالحقيقة. وإذ ذلك اعترفَ الصيرفـي بأنَّ الدراهمَ موجودةٌ عندَه. وانتهت قصَّةُ القاضي الصغير.

لقد هالَ القاضي الحقيقي ما سمعُه من محكمة القاضي الصغير؛ فاصطحبَ هذا الغلامَ معه إلى الـمَحْكمة، وسأله: ما اسمُك يا بنيّ. فقال: «ضايع الإنصاف».

وفـي اليوم التالـي عُقدَت الـمحكمةُ الحقيقية للصيرفـي والتاجر. وفـي هذه الجلسة طلب القاضي إحضارَ قليلٍ من الزيت فـي خوابـي التاجر، وعندها انهارَ الصيرفـي وأُلقيَ القبضُ عليه، واعترفَ تحتَ السِّيَاط بسرقتِه وخيانته.

وإذْ هَمَّ القاضي باختتام الجلسة تقدَّمت امرأةٌ واستأذنته بالكلام، وهذه الـمرأةُ هي أمُّ القاضي الصَّغير أو «ضايع الإنْصاف»؛ فسَردَتْ على القاضي قِصَّةَ زَوْجها الفقير القتيل الذي خَدعه ذلك الصَّيْرفـي الغَدَّار. وفـي هذه اللحظة وَثبَ ابنُها وأمسك بلحية الصيرفـي قائلًا: يا خائن، يا قاتل، يا غدَّار، أنت قاتلُ أبـي. عندئذ قال القاضي: اتركُه للعدالة، سَيُرْمى فـي



ظلمات السِّجْن، وستَحْصَل على أموال أبيك ومكافأتك وستُكافَأ علـى ذكائِك وخِدْمتك بدخولك إحدى الـمدارس العالية لتتلقَّى العلومَ على حساب الحكومة، وسـنَعْتني بوالـدتِك إلـى أن تبلغَ أَشُدَّك.

دوَّت الـمَحْكمةُ بالتَّصْفيق، وسِيرَ بالجانـي إلى السجن، ودارَتْ على الباغي الدَّوائِر، وأخذت العدالةُ مَجْراها.

وعلى هذا انتهَتْ هذه القصَّة، بما فيها من الـمَوَاعِظ والعِبَر.

لم يَغِبْ عن أَحاديثِ سلوى سلامة وخُطَبها نظرتُها العميقة إلى الحياة، وما دَهاها وأَوَى إليها، وقد اصْطبغَ كلامُها بشيءٍ من العَتَب والحَملة على ما آلت إليه الأيَّام. كما ضَمَّنت ما تكتب رسائلَ واعية أرادَتْ بها أن يَسْتفيقَ القارئُ على أشياء مهمَّة، فينظر إليها من جديد بشيءٍ من التأمُّل والعِبْرة. تَعالَوْا ننظرْ إليها وهي تفرغُ ما فـي جُعْبتِها من حنينٍ لصفاء الطبيعة بكلِّ ما فيها، فتَقول على لِسان ذلك الشَّيخ الـمُتَقمِّص لشخصِ الزَّمان:

"عـاشَ الإنسانُ سابِقًا عامِلًا نشيطًا يعتمد على يدِه، ويَلْتجئ إلى قوَّة ذراعِه، فكانَ زارِعًا وفلّاحًا نشيطًا، صانعًا، وعاملًا دائبًا.

كان يَقْتلعُ الأعشابَ والحشائِشَ للغذاء؛ أمَّا اليومَ فقد صار يحتاج إليها للدَّواء. كان يستقبل تغيُّرَ أنواء الطبيعة بقوَّة صحيحة وجسمٍ حديدي؛ أمَّا اليومَ فأصبح يهربُ من أقلّ زوبعة إلى البُيُوت والـمَلاجِئ التي شادَها هو لنفسه يَسْتَعيض بها عن جمال البرّيّة وحرارة الشَّمْس ونور النَّهار. كان يصارعُ البردَ، ويَبْسمُ للخَريف، ويده تعمل فـي الـمَناجِل وتُرافق



النِّير، وهو يُنْشِد أغنية السُّرور، ولا همَّ له سوى الحصول على قوتِه اليومي، غير مهتمّ بالغد، لأنَّ غدَه مكفولٌ عِنْده طالـما يدُه عامِلة وإرادتُه مَوْجودة؛ فغَدُهُ يومُه، ويومُه غَدُه"[1].

أليسَ فيما سبقَ من الحكمة ما لا يَخفى؟ وفـي صفاء النفس ما لا يُنكَر؟ بلى، بل هناك مِثْلُ ذلك وأكثر.

إنَّ حالةَ التأمُّل فـي الوجود وما انطوى عليه من أفانين الجمال وإبداع الخَلْق كانت حاضرةً فـي مخيَّلة سلوى سلامة، فها هي تعكف على شيءٍ من الـمُناجاة وهي تتأمَّل وردة جميلة وتسرِّح خيالَها فيها:

"سلامٌ يا ملكةَ الرَّبيع ومثالَ الجمال ومبعثَ الإنعاش، سلامٌ أيَّتُها الوردة!

نَظَرْتُكِ باسمةً فانفتح صدري، ومجَّدتُ مُبْدِعَك العظيم، مصدرِ الجمال ومَبْعث النُّور ...

مرَّ النسيمُ عليكِ فذهبَ معطَّرًا بشذاكِ، فأنعشَ إِذْ ذاكَ القلوبَ الضعيفة، وجدَّد القوى الواهيَة من معترك الحياة وصِعاب الزَّمن.

فـي حياتكِ سرورٌ، وفـي موتكِ انتعاش، وفـي دُموعكِ ماءُ التَّعْزية للحَزانى"[2].

إذًا، لقد كانت الطبيعةُ بكلِّ عناصرها مصدرًا من مصادر التأمُّل عندَ سلوى سلامة؛ فإذا كانت الزهرةُ على وجه البسيطة تدعوها إلى التأمُّل، فإنَّ الشمسَ الرابِضَة فـي كبِد السَّماء

[1] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٢٣.

[2] جريدة حمص، السنة الثانية، العدد ٢٥، السَّبت ٧ أيَّار/ مايُو، ١٩١١ م، ص ٣٩٨- ٣٩٩.



تدعوها إلى مثل ذلك أيضًا، فها هي تُناغيها معلنةً من خلالها تمرُّدَها على مبدأ السَّجْن وفكرة الحَبْس، فلا يهمُّها ما قد تقع فيه من تناقُض ما بين الواقع والـمَأْمول، ما بين الحلم والحقيقة، ما بين الطموح والقيُود، فتقول:

"أنتِ أيَّتُها الشمسُ نورُ الـمَخْلوقات، والسجنُ هو الظلمةُ الـمُوحِشَة، والقَبْرُ للأحياء. كيف تخرقُ حجبَ الظلام أشَّعةُ النور وبينها وبين ذلك حُجُبٌ كثيفة ... تَعْسًا لذلك الشَّعب الـمتَّسعَةِ سُجونُه، والويلُ لتلك الأمَّة التي تصرف كثيرًا من مالها فـي سبيل نفقات السُّجون"(1).

لا تكفُّ سلوى سلامة عن مُقارنة الـماضي الجميل بالحاضِر الغريب، فتقول: "أينَ رجالُ اليوم من رجال الأمس؟ وأينَ حالةُ الاجتماع اليومَ من حالتِه بالأمس؟ أينَ سعادةُ العائلة اليومَ من سعادتها بالأمس!؟ قابِلْ بينَ من يأتيك مساءً ورغيفُه بيده لإطعام عائلته، وقد جناهُ بعَرق جبينِه، وبين من لا يلذُّ له طعامٌ لأنَّه خسرَ مع التاجر الفُلانـي كذا، أو لأنَّ الأوانـي على مائدته كانت غيرَ مستوفيةٍ شروطَ الذَّوْق الجديد. وافحصْ بربِّك أجسادَ أفراد الـمَجْموع اليومَ، وأَخْبرنـي كَمْ تجد فيها من القوى النَّشيطة والعضلات القويَّة والسواعد الـمَفْتولة والقلوب السَّليمة!"(2).

فـي الحِكْمَة

تتناثرُ الـحكمةُ فـي تَضاعيفِ خطب سلوى سلامة ومقالاتها. ومع أنَّنا قد لا نتَّفق معها

---

[١] جريدة حمص، السنة الثانية، العدد ٣٠، السَّبت ١٨ حزيران/ يونيو، ١٩١١ م، ص ٤٧٨ و ٤٧٩.

[٢] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٢٤.



فـي كلِّ ما تراه، لكنَّنا – بلا شكّ – نُوافِقها فـي كثيرٍ مـمَّا قالته وأَمَّنت عليه؛ وهل نختلفُ معها حينما تقول؟: "عاشَ الإنسانُ فـي العُصور الخَوالِي طبيعيًّا غيرَ مُقاد بتقليد، وغيرَ مَرْبوط بشَرائِع كالتي سَنَّتها مدنيَّةُ اليوم. وهو فـي اليوم الحاضِر لم يَزَلْ كما كان يُحارب الخيرَ ويميل إليه، ويكرهُ الشرَّ ويُقدِم عليه"[1]. إنَّ فـي مقالتها «فـي نفسِها سَيْف» سَيْلًا من الحكمة يَتقاذفه بَحْرُها، ويتداولُه عُبابُه. ومن رَشاشِ ذلك ما كان تراهُ سلوى سلامة فـي سرِّ السعادة الزوجيَّة، فها هي تقول: "فالزَّوْجان الـمُحِبَّان تَنْقصُهما سعادةُ اتِّفاق الأخلاق، وتلك لا توجد بسهولة منذ أوَّل يوم بعدَ الزَّفاف، بل هي بنتُ التفاهُم الذي لا يُشْرَى ولا يُباع إلَّا بقوَّة الاتِّحاد والتمعُّن وطول الأناة، ودَرْسُ الأخلاق درسُ مَنْ يفتِّش عن سعادةٍ حقيقيَّة"[2].

ومـمَّا قد نختلفُ فيه مع الأديبة بدرجةٍ ما قولُها: "لا أعتبُ على البشريَّة الجائرة، فمنذ البَدْء اعتدى الأخُ على أخيه، لأنَّ الفطرةَ ميَّالةٌ إلى الشرِّ والخديعة. وأنَّى للمادَّة القذِرة التنزُّه عن الـمَظالِـم، وهي بالطبع تميلُ إليها"[3]. وهي تقصدُ باعتداء الأخ على أخيه ما حصلَ بين ولدَيْ آدم عليه السَّلام. ولكنّنا لا نعتقد أنَّ فطرةَ الإنسان تدعو إلى الشرِّ، وإنَّما يُزرع ذلك فيه لاحقًا، أو ربَّما هو موجودٌ مع الخير فـي الوقت نفسه، إنَّما يُنَمَّى واحدٌ منهما على حساب الآخر بفعل ما يَتعاورُ تربيتَه وتنشئته من مبادِئ وأخلاق وأفكار ورُؤَى.

---

[١] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٣٢.

[٢] حَديقَة خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٣٥.

[٣] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٠.



لقد بثَّت سلوى سلامة، حتَّى فـي حِكاياتها، شيئًا من الحكمة؛ ففي حكاية لها بعنوان «أَغْنى إِنْسان» تقول فـي خِتامها على لسان بطل القصَّة: "صَغُرَتْ نفسُه وفَقِهَ أنَّ الغنى بالـمَادّة هـو فَـقْر، وأنَّ الغِنى عندَ الله هو القلبُ الصابر الشَّكور"[1]. إذًا، مـمَّا لاشكَّ فيه أنَّ الكاتبةَ، مثلها مثـل أي قاصّ أو أديب، سكبت شيئًا من نَفْسِـها فيـما تكتب وتروي وتقصّ.

لم تكنْ حِكاياتُ سلوى سلامة من نسج الخيال دائمًا، مع أنَّ الخيالَ ينتج أجملَ القَصَص وأروع الحكايات، لاسيَّما إذا وَعى الهدفَ وأعلى الـمَبْدأ، واختلطَ بالعِبْرة وأَسْمى شأنَها؛ بل كانت ترصد وقائعَ وأحداثًا من الواقِع، فتَتلقَّفها لتَبْني منها قصَّةً أو حكاية أو مقالة تتمخَّض عن هدف وتجلب العِظَةَ والـمنفعة؛ ففـي مقالتِها «حفيد الـمَجْد» تَرْوي سلوى سلامة واقعةً شاهدتها أو عايشتها، حيث تبدأ حديثَها قائلةً: "وكانت الساعةُ التاسعة؛ وقد خرجتُ من بيتِنا ذاهِبة فـي طريقي إلى الـمطبعة لأُراجِعَ «البروفا» التي على الآلة الطابعة فيها. حانت منِّي التفاتةٌ إلى بيتٍ فخم فـي جوارنا هو بَيْت البارونة ... (التي قَضَت فـي العام الـماضي تارِكةً لبَنِيها إِرْثًا من الأَمْلاك والـمزارع ما يَبْهَظ السَّمْع والعَدّ وذاكرةَ الحاسِب)، فنظرتُ ابنَها الشاب يتمشَّى فـي حديقة الـمَنْزل وبيدِه جريدةٌ من الجرائد يُطالِعها بفُتور، وقد عَلَت وجهَه الشاحِب - وهو فـي رَيْعان الصِّبا - آياتُ السَّآمة وأَماراتُ الكسل والتَّعَب كأنَّ الشـيخوخةَ قـد أَرْخَت ظلَّها علـى مُحيَّاه وهو لم يُناهِز الثَّلاثين"[2].

---

[1] أمام الـمَوْقد، سلوى سلامة أطلس، ص٣٢.

[2] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٢.



وتتابعُ الأديبَةُ ما وجدَتْه فـي هذه الالتِفاتة فتقول عن ذلك الشاب الوارِث للمال والأَطْيَان من دون جهدٍ أو نَصَب: "وَرث الـمالَ والعقار، وفتح عينيه فـي فَجْرِ حياته على مزارعَ شاسعةٍ وأملاك واسعة وحدائق غنَّاء وقُصُور يُظِلُّها التَّرفُ وخَدَم تتسابق إلى تلبيةِ الطلب، فنشأ مُتَعَجْرِفًا كسولًا، ينظر إلى العالم بازدراء كأنَّ العالـم صنيعتُه والخليقةَ طوعُ أمرِه. وَرَدَ فـي فِكْرِه مقالُ ذلك الغنيّ: يا نَفْسُ لكِ خيراتٌ كثيرة مَوْضوعة لسنين كثيرة؛ تَنعَّمي وافْرَحي وعانِقي اللَّهْو، والْبَسي الخَلاعَةَ وبِيعي الصحَّةَ بأَبْخس الأَثْمان، واشْتَري الـمَوْتَ العاجِل، فأبوابُ القَصْف والـملاهي مَفْتوحةٌ على الـمِصْراعين"(1).

لا يَخْفَى فـي السِّياق السَّابِق ما خرجَتْ به الكاتبةُ من عِبَر ومَغازٍ أَفْرزتها تلك الـمَشاهِدُ التي وقعت عَيْناها عليها، فصاغَتها فـي قالبٍ من الحكمة والفَلْسَفة الإنسانيَّة الصَّائِبة.

والآن، تَسْـتأنفُ سلوى سلامة قِصَّتَها وسَرْدَها لأَحْداثٍ أَثارتها تلك الواقعة، وتجد فـي الـمُقارنَة بين نقيضَين تربةً خِصْبة لإيصال ما تودُّ إيصالَه، فتقول: "بينما الفقيرُ والعامِل والـمفكِّر والـمُجْتهد يَنْهضون فـي الصَّباح الباكر، يَتَنشَّقون نسمات الصَّباح البَليلة، ويَنْعَمون بلذَّةِ سَماع أَطْيَار السَّحَر، ويَرَوْن الـمُسْتَقْبل لامعًا تُنير دياجي لياليه الآمالُ الـمُشَعْشِعة، فتحملهم أجنحةُ الاجتهاد إلى ما وراء الأُفُق البعيد ليَشْهَدوا مَجْدًا خالدًا يَبْذُلونَ فـي سَبيلِهِ حَبَّاتِ قُلُوبِهم، ترى النائمَ إلى الضحى تهربُ نسماتُ الأسحار الرائقة من أنفاسه الـمُثقَلة بجراثيم الكسل وتَنْهيدات الآلام الفتّاكة، ينهض عاجزًا ويمشي متثاقلًا، لا وجهةَ

[1] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أَطْلَس، ص١٢، ١٣.



أمامه تُجدِّد نشاطَ حياته سوى الأكل والشرب، يَتكِّئ على وسائد الـمجد البائد وقد قنعَ بتراث تركه أبوه وجدّه، وقد حصّلاه بتعب ونَصَب وكدٍّ وتفكير، فتكون حالته كجائع يقنع بأكل رغيف السِّوَى؛ والنفسُ الأبيّة تستنكف عن أكل رغيفٍ تركه البارح على مائدة الحاضر"[1].

إذًا، بهذا البيان الساحر والسَّرْد الوضيء تريد الكاتبةُ أن تقولَ لنا: شتَّانَ بين هذا وذاك، شتَّانَ بين مـن يكدُّ ويعمل لكسب رزقِه بعرق جبينه وبين ذاك الذي عندما أبصرَ الدُنْيا وجدها سَهْلةً، يأتيه رزقُها من كلِّ صوبٍ واتِّجاه بلا جهدٍ ولا عناء، فيَتسلَّل الكسلُ والفُتور إلى كيانه، ويألف الخُمولَ والقُعُود، فينعكِسُ كلُّ ذلك على حياته التي تَغْدو بلا لونٍ ولا طعم ولا رائحَة مهما اغتنَتْ من الأرزاق والأموال والـمظاهِر.

وماذا بعدُ يا سلوى سلامة!؟ ها هي تجيب عن ذلك، فتقول: "الغِنى لا يَمْنع الغَنِيَّ من العمل، واللذَّةُ الحاصِلة من كَسْب الدينار هي أعظمُ بكثير من الحصول عليه عَفْوًا. الغِنى ثوبٌ ذَهَبيّ، فإن لَبِسَتْه هياكلُ جامدةٌ دونَ حياة فـي داخلها كان كمَنْ يَضَع على مُومِياء الـمصريين حليَةً أو على قبرٍ قُبَّةً فَخْمة"[2].

وتَدْلفُ الكاتِبةُ فـي نهاية الـمَطاف إلى خُلاصةٍ استَقَتْها من كلِّ ما سَلَف، بل ربَّما عَقدَتْ مقالتَها لتصلَ إليها ناصِحةً واعِظة وعينُها على روائع الحياة الحكيمة: "عَلِّمْ ابنكَ العمَل، ودَعْهُ يَجْني الدِّرْهَمَ بكدِّه، ويلذّ بصَرْفه. دَعْهُ يكسب الـمَجْدَ عن أهليَّة، لا أن يَرِثَه كحليةٍ

[1] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٣.

[2] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٤.



عارية مُسْتعارة قد لا تَليقُ به أو يليق بها. دَعْهُ يترك الفخرَ لبَنيه بجِدِّه لا بجَدِّه، ويُعْطيهم القدوةَ الـمُثْلى ليَجْنوا هم أيضًا مفاخِرَ ومراكزَ جليلةً فـي الهَيْئات الـمُحيطة بهم"[1].

فـي الخَواطِر

وكانت سلوى سلامة تزيِّنُ بعضَ كُتُبها بخواطر مطعَّمة بأكاليل من الحكمة والعِبْرة، ومن ذلك ما جاء فـي كتابها «جَرَّة الـمَنّ»، حيث تقول:

"كلُّ هَمٍّ فـي العالَـم يَهونُ أمام السَّقَم.

مَنْ يُسْرِعِ الخُطى يَرْجِعْ من نصف الطَّريق.

ثَوْبُ الإخلاص الحقيقيّ لا يَفْنَى وإنْ باخَ.

التي تَصْرف وقتَها بالزيارات لا تُقدِّم لعائلتِها عشاءً لذيذًا.

مَنْ يَتَّكِلْ على سِواه، لا ثقةَ له بنفسه.

مَنْ تَظُنّ أنَّها تَرْقَى قمّةَ السعادة فـي السَّنة الأولى من زواجِها تَهْوي سريعًا.

رُبَّ زهرةٍ ذابِلة ذات منافِع أَكْثر من السِّنْديانة الضَّخْمة.

مِرْآةُ الأُمّ تَهْذيبُ صِغارها.

الجواهِرُ على رأسٍ فارِغ من الحكمَة والـمعرفة كالبُودرة على وجهِ العَبْدِة"[2].

ومن خواطِر سلوى سلامة الـمُعَبِّرة والبليغة أيضًا:

"بيتٌ واحد من منظومات الشعر يُنْطِق كثيرًا من القلوب الخَرْساء.

---

[1] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٤.

[2] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص١٤.



زَهْرةٌ تَنبتُ بجانب ضريح فقيدٍ عاشَ كريمًا أجملُ من خاتَمِ ماس فـي يد بخيلٍ حيّ.

من يجِدِ الرِّبْحَ صُدْفةً لا يشعر بلذَّة الجنى"[1].

وتقول أيضًا:

"الحاكمُ الساهِر لا يحتاج إلى حُرَّاس.

الـمَمْلكةُ الغنيَّة غنيَّةٌ بنسائها.

الأمُّ التي كلَّما بكى طفلُها تُرْضِعُه وتَهبُه «حلوانًا» ليسكتَ تقدِّم للأمّة رجالًا لا يعيشون إلّا بالرشوة، فينشأ منهم ... و ... و ..."[2]. وعدَّدَتْ أصحابَ مِهَن ومسؤوليات ومناصب لا تنتفع بهم مجتمعاتُهم.

"الضعفُ مع الإرادة قوَّة.

الـمصائبُ والاضطهادُ أحسنُ مهذِّب للنَّفْس تُكْسِبنا إيَّاهُ السُّجون.

الأمُّ الحكيمة تَبْسم كثيرًا فـي شَيْخوخَتِها.

الزوجُ السعيد مَنْ لا يحمرُّ وجهُه خجلًا أمام زائريه"[3].

"إذا ذرفَت السَّماءُ دمعةَ إشفاقِها على البشريَّة فالأجدرُ بتلك الدمعَة الشعبُ السُّوري.

كيف نطلبُ الإصلاحَ وننشدُه وكلُّنا يدَّعي الكمالَ والنَّزاهة!؟

---

[1] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص٤٦.

[2] جريدة حمص، السنة الثانية، العدد ٣٦، السَّبت ٣٠ تمّوز/ يوليو، ١٩١١ م، ص ٥٨١.

[3] جريدة حمص، السنة الثالثة، العدد ٩، السَّبت ٣١ كانون الأوَّل/ ديسمبر، ١٩١٢ م، ص ١٤٠.



إذا شِئْنا معرفةَ حالة الأمَّة من الرقيِّ فَلْنَنْظر إلى حالة صِغارها.

الشَّعْبُ الضعيف يُعلِّم حكومَتَه الاستبداد.

لا حياةَ فـي الأمَّة التي يَسْتَوي فيها الخبيثُ والطيِّب.

أجملُ زينةٍ للفتاة الوَداعَة.

صَمْتُنا عن النُّطْق بحقيقة ما يُؤلِـمُنا هو ما يُسمَّى الـموتَ فـي الحياة.

اليدُ الحاملة عصا من حديد لا يجسرُ أحدٌ على الدنوِّ منها"[1].

إنَّ النَّاظرَ فـي الـمَقُولات السابقة يَسْتشِفُّ مدى عمق الفلسفة لدى الكاتبة، بل مدى بُعْدِ نَظْرتها للكون والإنسان والحياة والـمُجْتَمع.

وهكـذا، فقد تـجـوَّلتْ سـلوى سـلامة بين معظم أَفانين النَّثْر، فكتبت الحكايةَ والقصَّة والخاطرة والـمقالة والـمَوْضوع والخُطْبَة، فتجوَّلنا مَعَها وقَطَفنا من أَزْهار حديقتها النثريَّة ما لذَّ وطاب. وأستطيع أن أقولَ بحقَّ، عبرَ مُرُوري بمعظم ما كتبت هذه الأديبة، حتى البسيط منها، إنَّها كانت من النِّساء الحكيمات الـمُتَبصِّرات، فقد دَأَبتْ على إِسْداء الوصايا والنصائح للنِّساء بحُسْن التعامل مع أزواجهنّ، فالزواجُ الناجح فـي نَظرِها هو ما لا يُبْنى على الحبِّ فقط، بل على التَّفاهُم والتجاوُز أيضًا. وهي، فـي السِّياق نفسه، تَدْعو الـمرأة إلى الاهتمام بالـمَضْمون أكثر من الظاهر، وفـي ذلك تقولُ فـي مقالةٍ لها بعنوان «وَجدتُها» "نَأْسَف

[1] جريدة حمص، السنة الثالثة، العدد ١٩، السَّبت ١٠ آذار/ مارس، ١٩١٢ م، ص ٢٩٥، ٢٩٦.



لانصراف الـمَرْأة فـي بلادنا إلى العَرَض ونَبْذها الجَوْهر"(1)، فهي تريدُها أن "تذرفَ دمعةَ الحنان على الـمريض، وتُشْفِق على الجار حينَ بَلْواه .. رقيقة القلب لـمُصيبة القريب، واسعة الصدر حينَ معاكسة الدهر لها .. جمعت مقدرةَ الرجل إلى رقَّة الـمرأة وحنانَ الـمرأة إلى صبر الرجل .. وإذا رأيتَها قلتَ وجدتُ ضالَّةَ سليمان الـمَنْشودة منذ الدهر، وثمنُها يفوقُ اللآلئ"(2).

لقد كانت سلوى سلامة تَدْعو إلى أن تقفَ الـمَرْأةُ إلى جانب زوجها فـي السرَّاء والضرَّاء، وأن تقيسَ حياتَها ورفاهيَّتَها على حياته ورفاهيته، فإن ضحكَتْ له الدُّنيا ضحكَتْ معها، وإن أَخْنَت عليه كانت له سَندًا ومُعينًا. وليسَ أدلَّ على ذلك من قَوْلها فـي إِحْدى مقالاتها:

"ليسَ من العار أن تَظْهَري بمظهرِ البساطة وزَوْجك مرتاحُ البال، بل العار أن تكوني مُتَأَنِّقةً فـي ثوبٍ فَضْفاض من البَهْرجة والزِّينة وزَوْجُك يَئِنُّ من حسابات آخر الشَّهْر، وفيها ما فيها من حساب الخياطة ومَعْمل البَرَانِيط.

تأكَّدي أنَّ العِيشةَ الهنيئة تتأتَّى من عدم الضَّنك فـي الأشغال والأعمال، وهذه لا تأتـي إِلَّا عن طريق الاقتصاد، وهذا جوهرُه أنت يا سيِّدتـي"(3).

[1] جريدة حمص، السَّنة الثانية، العدد ٢٢، السَّبت ١٦ نَيْسان/ أبريل، ١٩١١ م، ص ٣٤٩.

[2] جريدة حمص، السنة الثانية، العدد ٢٢، السَّبت ١٦ نَيْسان/ أبريل، ١٩١١ م، ص ٣٤٩-٣٥٠.

[3] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، ص٩٠.



وفـي مقالةٍ أخرى بعنوان «مَنْ هي الـمَرْأة؟»، تَسْتفيض فـي تَوْصيفها للمرأة الـمهذّبة الصَّالحة، البانِيَة للأجيال، وتقارنها بالـمَرْأة التي تكون على غير ذلك، فتقول:

"هي مَنْ تَشْتري سعادةَ عائلتها بشَقائِها.

مَنْ تَمْسَحُ دُموعَ مَنْ حَوْلها، لا مَنْ تَبْكي وَتَسْتَنْزفُ عبراتِ ذويها.

مَنْ تَنْظُرُ إلـى السَّمـاء وفـي قلبها قناعَة، وفـي عَيْنيها خُشوع، وإلـى الأَرْض وعلى ثَغْرِها ابتسامة.

مَنْ تَحْسَبُ أنَّ سعادتَها كلّها تنحصرُ ضمن جدران بيتها.

مَنْ لا يَضيقُ صدرُها عن سرِّها، فلا تُودعه جارتَها.

من تهتمُّ بالثوب الكتّانـي للشغل، وإدارة البيت أكثر من الثوب الحريري للزينة والزيارات.

مَنْ تَرى نفسَها مَسْرورةً فتُرى شاكرةَ النعمة فـي كلِّ الظروف.

مَنْ يَشْتاق الناسُ لـمُحادثتها، لا من يَمْقُتها مُعاشِرُوها لوفرة تَذمُّراتها.

من تكون نسيمًا لطيفًا منعشًا لذيذًا، وليس دخانًا كثيفًا لغُمَّة الصدور وإذابة العيون.

من تحافظ على كرامتِها بمحافظتها على كرامة الناس.

من تتغلَّب على الـمُصيبة بقوَّة صبرها.

من بحكمتِها تجعل رجلَها الفقير مُثْريًا، لا الـمُثْري فقيرًا.

من يَجْد بها أولادُها الأمَّ والطبيبَ والـمعلِّم والحاكم.



الـمرأةُ السيِّئة الظنّ كَثيرةُ الهواجِس، والحسنةُ النيِّة هادئةُ البال.

الـمرأةُ الجليلة النظر لا تَعْثر بحجر، والكثيرةُ التأمُّلات لا يَلْدغها الثُّعْبان.

الـمرأةُ الجميلة تملك القلوبَ، والـمرأةُ الفاضلة تسترق العقول؛ الأولى ملكت ما «سُمِّيَ قلبًا لكثرة تَقلُّباته»، والثانيةُ اقْتَنت مركزَ الحكمة ومَرْكز حقيقة الإنسان"[1].

وفـي مقابل الـمقالة السابقة لها عن الـمَرْأة، ومن خلال خواطرها، كتبت مقالةً أخرى عن الرجل مليئةً بالحكمة والتعقُّل بعنوان: «من هو الرَّجُل»[2]، ومـمَّا جاء فيها قولُها[3] عنه:

هـو "عنايَةُ الله بالكون، سيفُ الـمَمْلكة، مجدُ العائلة، قوَّةٌ لا تضعف، فكرٌ غير مَحْصور، إِقْدام وشجاعة، مروءةٌ وشهامة، حدَّة وبأس، حِقْدٌ وانتقام، اهتمامٌ ودراية، عينٌ لا تغمض وعزمٌ لا يَفْنى ...

الرَّجُل الحقيقي من يفكِّر كثيرًا، ويتكلَّم قليلًا.

من لا يتسرَّع فـي الحُكْم على أحد.

مَنْ يتغلَّب عقلُه على قلبه.

مَنْ يقدِّس الصداقةَ، ويحافظ على مَبْدئها.

مَنْ لا يؤجِّل حساباته إلى الغد.

---

[١] مجلّة الحسناء، الجزء السَّابع، الـمَجَلَّد الثانـي، كانون الثانـي/ يناير، بيروت، سنة ١٩١١ م، ص٢٥٨.

[٢] جاء عنوانُ الـمَقالة «ما هو الرَّجُل»، وتكرَّر ذلك فـي متن الـمَقالة، والصحيحُ «من هو الرَّجُل».

[٣] جريدة حمص، السنة الثانية، العدد ١٨، السَّبت ١٨ آذار/ مارس، ١٩١١ م، ص٢٨٥، ٢٨٦.



مَنْ لا يتكلَّم كلمةً إلَّا عن رويَّة وخبرة ومعرفة.

مَنْ يقدِّر لرجلِه موضعَها، ومَنْ يعرف وجهتَه ومسيره.

مَنْ يطأ الأشواكَ والوَعْر ليصلَ إلى الحقل الخصيب.

مَنْ لا يميل دفعةً واحدة لأمر ما.

الرَّجُلُ النشيط فتًى فـي شيخوخته، والرَّجُلُ الـمُتوانـي شيخٌ فـي صِباه.

الرَّجُلُ الشريف يَسْتنكفُ عن أكل الرَّغيف معجونًا بعرق جبين الآخرين.

الرَّجُلُ الـمتقلِّب، والذي لا مبدأَ له، لا اعتبارَ له فـي قومه، بل هو كطَابةٍ تتقاذَفُها أيدي الـمُغْرِضين.

الرَّجُلُ الـمُتروِّي لا يعرفُ دموعَ النَّدم، ولا يندب زمانَه.

الرَّجُلُ العاجز الرأي يرى الأقدارَ جائرةً عليه لعدم معرفته طُرُقَ الحياة.

الرَّجُلُ السَّعيدُ من يرى مبادئَه منتشرةً فـي عائلته.

الرَّجُلُ الـمُقْتَصِد فـي صِباه غنـيٌّ فـي شـيخوختـه، والرَّجُلُ الـمِتْلاف يَشْـتري الفَقْرَ بدراهــمه".

وفضلًا عن ذلك، كانت الأديبةُ سلوى سلامة تَدْعو إلى الفضيلة والـمَحبَّة والتسامُح، وتناوِئ سيِّئي الأخلاق والسِّيرة، لذلك أكثرت من الكتابة عن تلك الـمَواضيع، وليسَ أدلَّ على ذلك من قولها فـي مقالةٍ طويلة لها اتَّخذت لها عنوانًا «الشَّيْخ ورأس السَّنة»: "ستُطْوى



الأعوامُ وتنحلُّ العناصرُ ولا يبقى للمرء فـي دنياه، وبعدَ وفاته، سوى ذِكْرى الفضيلة والاسم الـمَحْمود"(1). كما كتبت للطفل والأمِّ والـمَرْأة والـمَساكين والـمَرْضى والضِّعاف، فجاءت بعُصارةٍ من فِكْر الحنان والعطف والعطاء والبَذْل. وكانت تَسْتشهد على ما تكتب بشِعرها حينًا، وبشعر غيرها أحيانًا أخرى.

ونُنْهي حديثَنا عن النثر عندَ سلوى سلامة بطائفةٍ متفرِّقة من كلماتها الخالدة، فلنُنْصِتْ إلى هذه الجُمَل العابقة بالبصيرة والـمُتَسلِّحَة بالوَعْي:

"مَظاهِرُ متنوِّعةٌ من مظاهِر الإخلاص يَرْتاحُ إليها صاحِبُ القَلْب السَّليم، وينامُ على وسادةٍ حريريَّة، لكنَّ تَحْتها أَفاعي الخِداع.

تَحْت ظِلال الصَّداقة الغاشَّة، كَمْ من أَبْنيةٍ هُدِمَتْ!

وتحت أَسْتار الحبِّ الكاذب، كَمْ من جريمةٍ وَقَعت!

وتحت لِواء الغِنى الـمَوْهُوم، كَمْ من جُدْرانٍ سَقَطت!

ووَراء الثَّوْب الحريريِّ الناعم، كَمْ من أَبْدانٍ خَشُنَتْ!

وتحت الطِّلاء والـمساحِيق، كَمْ من بُثُورٍ كَمُنت!

ووراءَ الـمَقْدرة غير الـمُهَذَّبة، كَمْ من غايةٍ سَفُلَتْ!"(2)

---

[1] جريدة حمص، السنة الثانية، العدد ٨، السَّبت ١ كانون الثانـي/ يناير، ١٩١١ م، ص١٢٧.

[2] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أَطلس، ص٢١.



"أَلا قُلْ للمُؤْتَزِرينَ بغيرِ زيِّهم، عُودُوا إلى حقيقتِكم.

إنَّ صغيرًا يلبَس ثَوْبًا كبيرًا يقع مُتَدحرِجًا، وتَتَهشَّمُ أَعْضاؤُه"[1].

وللأديبة جَوْلةٌ حَنُونة مع الدَّمْعة ومعانيها، ضمن طائفةٍ من جولاتها الحكيمة مع الكلمات والجملة والعبارات:

"الدَّمْعَةُ هي ذاتُ الـمواقِف الخَطيرة. وهي الكفُّ الـماحِيَة إساءةَ كثيرين وغَلْطاتٍ كبيرةً فـي ذِمَّة التَّاريخ.

الدَّمْعَةُ هي سلاحُ الـمَرْأة القَويّ للغَلْبَةِ على الرجُل الـمُسْتَبدّ.

الدَّمْعَةُ هي ثمرةُ النَّفْس الحَسَّاسة الغنيَّة.

والنَّفْسُ التي لا تتألَّـم، ولا تَذْرِف دمعةً، هي كالشجرة التي لا ثمرَ بها"[2].

ونُواصِلُ نُزْهَتَنا فـي حديقة الحكمة والبصيرة وبُعْد النظر مع الأَديبة والشاعرة سلوى سلامة، ونستمع إليها وهي تقول:

"الوَيْلُ لعائلةٍ يَرْأَسُها قلبٌ مُتَحَجِّر؛ والويلُ لأمّةٍ تَكْثُرُ فيها النفوسُ العقيمة الثَّمر، والعيونُ الجامدة التي لا تَعْرف معنًى لدموع الإشفاق والألم.

وهنيئًا لبيتٍ تَحْتضن صِغارَهُ أُمٌّ تَحْنو على الـمريض، وتُسْعِف السَّقيمَ بابتسامتها العَذْبة.

[1] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٢٤.

[2] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٣٠.



الابْتِسامَةُ هي صورةُ العَقْل الهادئ، والإرادة الحديديَّة.

الابْتِسامَةُ كثيرًا ما تغلَّبَت على جُيُوش الغضب والحِقْد والانتِقام.

الابْتِسامَةُ هي ثمرةٌ من ثِمار النُّفُوس الكبيرة العاملة على قَمْع الثورات، وتَبْديد شَمْل الأَحْقادِ والضَّغائن.

الابْتِسامَةُ كثيرًا ما وضَعت حَجَرَ زاويةٍ لأعمال خطيرة، سَجَد أمامَها التاريخ، وحفظ ذكرَها مُـمَجَّدًا فـي هياكل أَقْداسِه.

الابْتِسامَةُ هي الثقافةُ الـمُبَرْهِنة على إخلاصٍ وسلامة طويَّة.

هي نوعٌ من مَراحِم الآلهة وبركاتهم السَّماوية.

وارْتِباطُ الابْتِسامة بالدمعة أنَّ الثانيةَ مَجْلَبةٌ للأولى"[1].

وتنفردُ سلوى سلامة، وهي في باكورة عمرها، بتعابير خاصَّة لها فـي الحكمة حين تقول متحدِّثة على لسان شيخٍ كبير: "وجدتُ شيئًا واحدًا يعزِّي تلك الحياةَ وهو إيجادُ صديقٍ مخلصٍ وَفـيّ؛ وعلمتُ أنَّ أثمنَ شيءٍ يجده الإنسانُ فـي سِنيِّه هو الدروسُ الـمفيدة التي تلقِّنه إيَّاها خبرةُ العالـم وقوَّة الليالي ومُعاكَسات الـمُناوئين"[2].

---

[1] جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أَطْلَس، ص٣١.

[2] جريدة حمص، السنة الثانية، العدد ٨، السَّبت ١ كانون الثانـي/ يناير، ١٩١١ م، ص١٢٧.



الفصل الثالث: سلوى سلامة - الشاعرة

لكنَّ الأديبةُ سلوى سلامة لم تَقْصُرْ أدبَها على النثرِ بأنواعه فقط، بل طعَّمَتْه ببعضٍ من الشِّعْر القليل الذي استطعتُ الحُصُولَ عليه، وربَّما كان لها شعرٌ آخر ما زلتُ أبحثُ عنه. ونحن الآنَ على موعدٍ مع رحلةٍ نتجوَّلَ فيها بين رياض أشعارِها وقصائِدها. وسنُلاحظ فيما سَنَنْثُرُه من شعرِها لاحقًا أنَّ هذا الشعرَ ما هو إلَّا انعكاسٌ فنِّي آخر لشخصيَّة صاحبته؛ فإذا كان النثرُ الذي أتت به عَبَّر عن ذلك بأسلوبٍ أدبي معيَّن، فإنَّ شِعرَها عبَّر عن الشيء نفسِه بأُسْلوبٍ أدبيٍّ آخر.

والآن نبدأ بقصيدة لسلوى سلامة بعنوان "فَتاة الشَّرْق"[1] (من الخفيف)، وفيها تسرد ما كانت تُعاني بعضُ النساء في زمنها من ظلمٍ واضطهاد ومهانة، وقد جاء في مطلعها:

حَمَّلُوها مِنَ الهُمُومِ ثِقالًا وَدَعُوها في وَهْدَةٍ مِنْ قَتامِ
حَرَمُوها مِنَ الرُّقِيِّ مِثالًا مَنَعُوها عَنْ خُطْوَةٍ لِلأَمامِ
تَرَكُوها تَشْكُو هَوانًا وَتَعْسًا في حَشاها نارُ ذَكَتْ باضطرامِ
تَذْرِفُ الدَّمْعَةَ انْكِسارًا ويَأْسًا وتُنادِي على الحَيَاةِ سَلامي

[1] وجدتُ هذه الأبياتَ في مقالةٍ على الإنترنت، وقد أرسلتُ للكاتبة صاحبة تلك المقالة أكثرَ من رسالةٍ للوقوف منها على بقيَّة القصيدة، حيث ذكرَتْ أنَّها قصيدةٌ مَشْهورة، وقد أوردت منها الأبياتَ المذكورة هنا فقط. لكن، رغمَ اطلاع الكاتبة على ما أرسلتُه لها لم تردَّ ولم تُوافِني ببقيّة القصيدة (انظر: مقالة: الجامعة، أثير محمَّد علي، مجلّة الكلمة، العدد ٥٧، كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢ م). وقد بحثتُ كثيرًا عن هذه القصيدة فلم أجدها.



ثمَّ تقول، داعيةً إلـى مواجهة كلِّ ذلك، فالـمرأةُ جـديرةٌ بالرعاية والاهتمام، وهي قادرةٌ على العَطاء والتَّحصيل والإنجاز، ولا ينقصُها فـي سبيل تحقيق ذلك سوى شيءٍ من الدعم والـمُسانَدة والأخذ باليد:

فَهِّمُوهــا كُنْـــهَ الحَيَـــاةِ لِتَـــدْري　　　مـــا عَلَيْهـــا مِـــنْ وَاجِبـــاتٍ عِظَـــامِ
ســاعِدُوها فـــي نَشْـــرِ قَـــوْلٍ وفِكْـــرٍ　　　سَـــلِّحُوها بِـــالعِلْمِ والاحْتِشَـــامِ
قَلِّـــدُوها كَرامَـــةً وَاعْتِبـــارًا　　　عامِلُوهـــا بِرِقَّـــةٍ وابْتِســـامِ
هِـــيَ يـــا قَـــوْمُ تَحْسَـــبُ الجَهْـــلَ عـــارًا　　　وتُرَجِّـــي فـــي الـــمَجْدِ أَبْهَـــى مَقـــامِ

لكنَّها فـي الآن نفسِه تريد من الفتيات أن يأخذنَ بزمام أنفسهنّ، فلا يركنَّ إلى الدَّعة والهمود والتراخي، بل تدعوهنَّ إلى الـمُبادَرة والعمل والاجتهاد، دون التخلِّي عن الاستقامة والطُّهر والتُّقى، فتقول لـهنَّ ناصحةً مُوصِيَة فـي قصيـدة بعنـوان «لا تَقْنَـطي»[1] (من مَجْزوء الكامِل):

لا تَقْنَطِـــي يـــا رَبَّـــةَ الشْـــ　　　ـشَـــرَفِ الرَّفيـــعِ مِـــنَ النَّـــاصِرْ
لا تَيْأَسِـــــي لِطَـــــوَارِئٍ　　　فَالـــدَّهْرُ كَالـــدُّولابِ دائِـــرْ
سِـــيري عَـــلى نَهْـــجِ الهُـــدَى　　　وَاللهُ لِلأَعْـــمالِ نـــاظِرْ

[1] جاءت هذه القصيدةُ فـي سِيَاق خطابٍ (بعنوان: شَرَف العَذْراء) للشاعرة سلوى سلامة، أَلْقَتْه فـي الحفلة الأدبيَّة لـمساعدَة دار اليتامى فـي زَحْلة بلُبْنان، حيث طُلِبَ منها الحديثُ عن مَوْضوعٍ في تلك الـمُناسَبة (مجلَّة الحسناء، الجزء السَّابع، الـمُجَلَّد الأوّل، ٢٠ كانون الأوَّل/ ديسمبر، بيروت، سنة ١٩٠٩ م، ص٢١٣، ٢١٤).



كُونـــــــي بِصَـــــبْرِكِ قُـــــدْوَةً وَقْـــــتَ الشَّـــــدائِدِ والـــــمَخاطِرْ
كُونـــــــي مُحافِظَـــــةً عَـــــلى ثَـــــوْبِ التُّقَـــى لِيَظَـــلَّ طـــاهِرْ
كُونـــــــي بَشُوشَـــــةَ مَنْظَـــــرٍ تُجْلـــــي بِمَـــــرْآكِ النَّـــــواظِرْ
كُونـــــــي لَطيفَـــــةَ مَعْشَـــــرٍ يَهْـــوَى كَمالَـــكِ كُـــلُّ خـــاطِرْ
كُونـــــــي نَزيهَـــــةَ مَنْطِـــــقٍ وابْقَـــيْ مُسالِـــمَةَ الـــمُجاوِرْ
لا تَـــــأْمَني شَرَّ ابْتِســـــا ـــماتِ الـــمُلاطِفِ وَالـمُعاشِـــرْ

⌗⌗⌗

كَـــمْ مِـــنْ بَغـــيضٍ كـــاذِبٍ حَسَـــنِ التَّـــوَدُّدِ والظَّـــوَاهِرْ!
كَـــمْ مِـــنْ دَنـــيءٍ خِلْتِـــهِ الْـــ ـحُـــرَّ الأَبِـــيَّ، فكـــانَ مـــاكِرْ!
صُونِـــــي صَـــفاءَ سَريـــرَةٍ وَاللهُ كَشَّـــافُ السَّـــرائِرْ
كُونِـــــي مَـــلاكَ وَداعَـــةٍ هَـــوِيَ الصِّـــيَانَةَ والـــمَفاخِرْ
فَـــإِذا فَعَلْـــتِ فَأَنْـــتِ كَنْـــزٌ تَسْـــتَعِزُّ بِـــهِ العَشَـــائِرْ
وإِذا فَعَلْـــتِ فَأَنْـــتِ نُـــورٌ تَسْـــتَنيرُ بِـــهِ البَصـــائِرْ
تُفْـــدَيْنَ بِـــالأَرْوَاحِ لا بِالـــمَالِ أو أَغْلَـــى الجَـــوَاهِرْ
تَجْنـــينَ ذِكْـــرًا طَيِّبًـــا وعَلَيْـــكِ تَنْعَقِـــدُ الخَنـــاصِرْ

وتقف سلوى سلامة، وقد بادرت إلى تهنئة السيِّد اثناسيُوس عطا الله مِتْروبوليت حِمْص وتوابعها للرُّوم الأَرثوذكس بيُوبيلِه الفضِّي، فتقول فيها قالت نثرًا، ثمَّ شِعْرًا (من البَحْر



الكامل)[1]، وقد ملكت ناصيةَ هذين الجِنْسين الأَدبِيَّين: إِذا شِئْتُم أن تَعْرِفوا من هو السيِّد اثناسيُوس قابِلُوا بين حالة حِمْص منذ ٢٥ عامًا واليومَ، فتَعْرِفوا من هو. «إذا صَمَتَت الناسُ فالحجارةُ تَصْرخ». قُولُوا السيِّد اثناسيُوس وكفَى؛ حَيْثما الـمآتـي الخطيرة تسرُّ الإنسانية وتَطْرَب، حيثما الـمآثِرُ الجليلة تخضع القلوبُ الكريمة وتُطأطِئ الرؤوسُ إجلالًا، حيثما النَّوايا الصافية تحُلُّ البركاتُ السَّماوية، حيثما العطفُ الـمَسيحيّ والـمَحبَّةُ الحقيقيَّة للجميع والنشاط الكامل تَرْتقي الأمّة، حيثما الأبُ الصالح تَزْهو البنون وترتقي العائلة، وحيثما الفعلُ الحَسَن تُصَفِّق الأيدي فرحًا وتهتف الشِّفاه:

يـا أَيُّهـا الـمَوْلَى الـذي نالَـتْ بِـه ... هـذي الـمَواطِنُ كُـلَّ مـا تَتَطلَّـبُ
يـا حِـبْرَ طُهْـرٍ مُحْسِـنٍ سـامي الـذُّرَى ... يـا بَـدْرَ تَقْـوى نُـورُهُ لا يَغْـرُبُ
يـا بَحْـرَ فَضْـلٍ دُرُّهُ البَـاهي سَـما ... وَمِياهُـهُ فاضَـتْ، ولَيْسَـتْ تَنْضُـبُ
كَـمْ مِـنْ كنـائِسَ أَوْ مَـدارِسَ شِـدْتَها ... وجِـانٍ بِـرٍّ تَـمَّ فيهـا الـمَطْلَبُ!
ولَكَـمْ بَـذَلْتَ مِـنَ العِنايَـةِ والنَّـدَى ... لِعَـزاءِ مَـنْ فـي النَّـاسِ بـاتَ يُعَـذَّبُ!
عَمَّـتْ مـآثِرُكَ الجَليلَـةُ سَـيِّدي ... وبشُـكْرِكُمْ قُمْنـا نَتِيـهُ ونَخْطُـبُ
فـي عِيـدِكَ الفِضِّـيِّ أَطْيـارُ الهَنـا ... قَـدْ غَـرَّدَتْ أَلْحـانَ بِشْـرٍ تَعْـذُبُ

[1] تَذْكار اليُوبيل لسِيادَة الحَبْر الجليل اثناسيوس عطا الله، رزق الله نعمَة الله عبُّود، الطبعة الأولى، مطبعة حمص، ١٩١١ م، ص٢٣٠، ٢٣١. ويُلاحَظ أنَّ هذه القصيدةَ نَظَمَتْها سلوى سلامة قبلَ هجرتِها مع زَوْجِها إلـى البرازيـل ببِضْع سَنَوات. وهذا يعني أنَّها كانت على دِرايةٍ بالشِّعر قبلَ سفرها خارج مدينتها حِمْص، وربَّما تكون هذه القصيدةُ من أوائل القصائد الـمَنْشورة والـمُكْتملة لها.



والكُــلُّ أَصْـبَحَ فــي هَنــا ومَسَــرَّةٍ وأَتَــى الزَّمــانُ بِــما نُحِــبُّ ونَرْغَــبُ
فاهْنَــأْ بِعِيــدِكَ سَــيِّدي وبشَــعْبِكَ الــزْ ـزَاهِـي الـذي يَزْهُـو بِكُـمْ، بَـلْ يَطْـرَبُ
وامْــنُنْ وبــارِكْ مَــنْ نَشَــتْ فــي ظِلِّكُــمْ وغَــدَتْ بِكُــمْ يــا ذا الــمَكارِمِ تُعْجَــبُ
واسْلَمْ وعِشْ، وافْرَحْ وتِهْ، واطْرَبْ ودُمْ مــا صــاحَ طَــيْرٌ أو تَــبَلَّجَ كَوْكَــبُ

وفـي أَوَّلِ خِطابٍ أَلْقَتْه الأَديبَةُ سلوى سلامة فـي سان باولو، عقبَ وصُولها إليها بدعوة من جمعيتي الشَّبيبة الحِمْصية وحِمْص الفتاة والجالية الحِمْصية هناك (وقد اختارت له عنوان «حَجَر الزَّاوِيَة»[1])، ابتَدَرت كلامَها ببضع أبياتٍ مـن الشِّعْر جـاءت كما يلـي (من بَحْر الرَّمَل):

أَسْــــعَدَ اللهُ مَســـــاءَ الســـــيِّداتِ وَرِجــالِ الفَضْــلِ أَهْــلِ الــمَكْرُماتِ
وَحَمــى اللهُ حِمــى مَــنْ قَــدْ سَــقَوْا رَوْضَــةَ العِرْفــانِ مَســاءَ الحَسَــناتِ
وَرَعَــى قَوْمًــا كِرامًــا أَرْجَعُــوا مَجْــدَ سُــورِيًّا لَهــا بَعْــدَ الــمَماتِ
ولإِصْــلاحٍ وَتَهْــذيبٍ سَــعَوْا وَرُقِــيٍّ بِرُقِــيِّ الفَتَيــاتِ
فَلَهُــمْ مِنِّــي سَــلامٌ عــاطِرٌ مــا شَــدا البُلْبُــلُ أَشْــجَى الــنَّغَماتِ

وفـي مقالةٍ للأديبة سلوى سلامة تحتَ عنوان «الرَّايَة الخالِدة»[2]، ضَمَّتْ خِطابًا لها فـي حفلة مَلْجَأ اليتيم للسيِّدات الحِمْصيَّات فـي ٩ كانُون الثانـي سنةَ ١٩٢١ م، استهلَّتْ خِطابَها

[1] حديقةُ خُطَب، سلوى سلامة أَطْلَس، ص١١١.

[2] حديقةُ خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص٦٢.



ذاك بأبياتٍ من الشِّعْر الإنسانـي النَّبيل، فقالت (من الخَفيف):

بِاسْـمِ حِمْـصٍ وبِاسْـمِ كُـلِّ يَتِـيمِ وعَجِـيٍّ جَنَـتْ عَلَيْـهِ الـمَنِيَّـةْ

بِاسْـمِ فَـادٍ أَقـامَ طِفْـلًا صَـغيرًا كَمِثـالِ الـمَنازِلِ السَّـمَوِيَّةْ

بِاسْـمِ مَلْجَـا اليَتِـيمِ أُهْـدِي كِرامًـا، شَرَّفُونـا، تَحِيَّـةً قَلْبِيَّـةْ

إنَّ النَّاظِرَ فـي الأبياتِ السابقة (وفيما سيأتـي من شعرٍ لـها) لا يشكُّ أبدًا بأنَّ الأديبةَ سلوى سلامة عارِفةٌ بالشعر وجَوازاتِه وعِلَله وضَرُوراتِه، وليسـت مُبْتَدِئةً فيه أو مُتطفِّلة عليه؛ فـقد خفَّفت بعضَ الكلمات لضَبْط الوزن، كتَخْفيف سماويَّة إلى سَمَويَّة فـي البيت الثانـي، ومَلْجأ إلى مَلْجا فـي البيت الثالث.

وتَسْتأنفُ سلوى سلامة شعرَها فـي خطابها السابق نَفْسِه، فتتحدّث عن العاطفة، وتخصُّ تلك النبيلةَ منها، فتقول: "العاطفةُ لا تَغشُّ ولا تَنْدَم ولا تتطلَّب الـمَجْد، بل تُضحِّي فـي سبيل الواجِب. هي ابنةُ الأَحْزان، وهي ثَمْرةُ الآلام، لا ابنةُ الأفراح، وعشيقةُ الـمَسرَّات. هي الرايةُ الخالدة ... هي الرايةُ التي بِظلِّها يَسْتظلُّ من أَحَبَّ الخلودَ بأَفْعاله وبإحساناته وخدماته. هي الرايةُ الخافقة فـي سماء الـمَجْد الحقيقيّ، تشعُّ أَنْوارَ نُكْران الذَّات، والسَّعْي وراء نَفْع الآخرين. هي الرايةُ الخافقة فـي جوِّ اللانهاية، حيث تحلِّق النفوسُ الـمُثْمِرة، وحيث ترتاح النفوسُ الكبيرة. تلك الرايةُ التي لا يخشى حاملُها وُلوجَ وادي ظلال الـمَوْت، لأنَّ بأشعَّتها ما يضيءُ سبيلَه". فتقول (من البحر البسيط)[1]:

[1] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص٧٠ و ٧١ و ٧٢.



تِلْـكَ التـي إِذْ دَعـا الـمِسْــكينُ مُنْتَحِبًـا إيلي[1]!! لِـما قَـدْ تَرَكْـتِ البـائِسَ العَانِــي؟
هــاكَ الصَّــليبُ وهــاكَ الـــمُرُّ أَجْرَعُــهُ وهاكَ مِـنْ حِـبْرِي[2] يَجْـرِي دَمـي القانــي
قَالَــتْ: أَتَيْـتَ فَقُــمْ واحْمِـلْ سَريـرَكَ هـا غَــوْثٌ جَديــدٌ أَتَــى بالبَعْــثِ لِلفانـــي
لَبَّيْـــكَ لَبَّيْـــكَ، لا تَقْـــنَطْ فَهـــا أَمَـــلٌ يُضِـــيءُ كالشَّـمْسِ فــي دَيْجُـورِ أَحْــزانِ
إِلَيْـــكَ أَحْمــلُ رُوحًـــا بَثَّهـــا صَـــمَدٌ لَــــمَّا تَجَسَّـــمَ فِينـــا آدمُ الثّانــــي
إِذْ قـالَ: مَـنْ يَصْـنَعِ الـمَعْروفَ مَعْ أَحَـدٍ مِـــنَ الصِّـــغارِ، فَبِالـــمَعْروفِ كافانـــي
أو مَـــنْ سَـــقَى كَـــأْسَ مـــاءٍ بـــارِدٍ وَلَـــدًا باسْـــمِي أَعَـــدَّ لَـــهُ مَـــأْوًى بأَحْضانــــي
لَبَّيْــكَ يـــا مَـــنْ بِـــهِ تَـــزْدانُ مَـــمْلَكَةٌ مـــا حَلَّهـــا مـــاكِرٌ أو أَمَّهـــا جـــانِ
لَبَّيْـــكَ يـــا فاقِـــدَ الأُمِّ الحَنـــونِ فَهـــا أُمٌّ تُعيضَـــــكَ عَـــــنْ أُمٍّ وإِخْـــــوَانِ
أُمٌّ تُـــمَثِّلُ فـــي مَلْجـــا اليَتـــيمِ لَنـــا عَطْـفَ الـرَّؤومِ عـلى ابـنِ بـائِسٍ[3] عـانِ
أُمٌّ تُـــمَثِّلُ فـــي مَلْجـــا اليَتـــيمِ نَـــدًى أَكـــارِمٌ جَـــدَّدُوا أَفْضـــالَ عَـــدْنانِ

---

[1] إيلي اسمُ علمٍ مُذكَّر عِبْري، يَعْني الأعلى، وهو الاسمُ الـمُقَدَّس لله، ومختصر إِلْيَا ويَعْني الـمُخْتار؛ ولكن يَبْدو أنَّ الشاعرة أرادت بها مكانًا مُقدَّسًا، ورمزَتْ به إلى مَلْجَأ اليَتيم وتلك التي سَمَّتها «الراية البَيْضاء». وقولها بعدَ ذلك «لِـما» بصيغة التساؤل لا يصحّ، والصحيحُ «لِـمَ»، ولكن تبقى مشكلةُ الوزن.

[2] لا تَصِحُّ تفعيلةُ «فَعْلُنْ» فـي حَشْو البسيط، إلّا إذا حرّكت الشاعرةُ الساكِن فأَصْبحت حِبْري: حِبَري؛ مع أنَّ حِبَرَ قد تَخْرج إلى مَعْنى آخر.

[3] تَفْعيلةُ «مُتَفْعِلُنْ» فـي حَشْو البسيط غيرُ محبَّذة.



أُمٌّ تُـــمَثِّلُ كُـــلَّ الكُـــلِّ مِـــنْ حَسَـــنٍ   تُـــمَثِّلُ اللهَ فـــي حُـــبٍّ وإِحْســـانِ

يَسْتَبِينُ من الأبيات السابقة ما سبقَ أَنْ قُلْناه عن الجانب الإنساني الـمُضيء في شَخْصِيَّة سلوى سلامة، وكيف كانت تدعو إلى الفضيلة والـمَحَبَّة والرَّأْفة والخَيْر؛ فهذه الأبياتُ الغنيَّة بالعاطفة، العامِرة بدَعْوى الرَّحمة، هي من شواهِد حياتها الكريمَة الخَيِّرة، وجانبٌ شِعْريٌ عَطوف مكمِّل للجانب النَّثْري في أَدبها. وقد اختتمت قصيدتَها السابقَة بمقطعٍ باهر حين قالت عن الأمِّ الرَّؤوم، بل عن كلِّ مَزيةٍ خيِّرة، إنَّها: «تُـمَثِّلُ اللهَ في حُبٍّ وإِحْسانِ».

وجاءت القصيدةُ اللاحقِة (من البَسيط)[1] في سِياقِ خطاب أَلْقتُه سلوى سَلامة بعنوان «الأَكْواخ والقُصور»، في مدينة ريُو دي جانيرو سنة ١٩٢٣ م:

كَـــمْ مِـــنْ قُصُـــورٍ تَراهـــا العَـــيْنُ باذِخَـــةً   تُكِـــنُّ فـــي جَوْفِهـــا سُوسًـــا ودِيـــدانا!
وكَـــمْ رَأَيْنـــا شُـــمُوسَ الطُّهْـــرِ ســـاطِعَةً   فـــي جَـــوِّ كُـــوخٍ بَنـــاهُ النَّـــاسُ قُضْـــبانا!
وكَـــمْ هَزيـــلٍ بِـــلا سُـــقْمٍ ولا أَلَـــمٍ!   وكَـــمْ سَـــمينٍ يُعانـــي السُّـــقْمَ أَحْيانـــا!
كَـــمْ مِـــنْ فَقِـــيرٍ سَـــعيدٍ لا قَمـــيصَ لَـــهُ!   وكَـــمْ غَنـــيٍّ يَـــوَدُّ الـــمَوْتَ أَحْيانـــا[2]!
فَـــذاكَ يَحْيـــا طَرُوبًـــا فـــي قَناعَتِـــهِ   وذا يَقْضـــي لَيَـــالي العُمْـــرِ حَيْرانـــا

[1] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص١٠٧-١٠٩.

[2] كرَّرَت الشَّاعرةُ القافيةَ في بَيْتين مُتَتالين بلفظِها ومَعْناها، وهذا إِيطاء، وهو من عُيُوب القافِية. والعَروضيُّون لا يعدُّون هذا التكرارَ عَيْبًا إذا جاء بعدَ سبعة أبياتٍ أو إذا كان تكرارًا باللَّفظ دون الـمَعْنى.



كَـــمْ ثَـــوْبِ خَـــزٍّ جَميـــلٍ راحَ يَلْبَسُــــهُ مَـــنْ قَـــدْ تَمَنَّـــى بَـــديلَ الخَـــزِّ أَكْفانـــا!
كَـــمْ ذاتِ قَصْـــرٍ تَقْضـــي اللَّيْـــلَ ناحِبـَـةً وزَوْجُهـــا لِعُهـــودِ الحُـــبِّ مـــا صـــانا!
وكَـــمْ أَليـــفِ وِدادٍ مـــا جَنَـــى خَطـــأً وزَوْجُـــهُ قَـــدْ لَـــهَتْ عَنْـــهُ ومـــا خَانـــا!
كَمْ تَحْتَ جُنْحِ الدُّجَى في القَصْرِ وَقَعَتْ جَريمَـــةٌ صَـــمَّ عَنْهـــا القَصْـــرُ آذانـــا!
كَـــمْ مِـــنْ خَفايـــا وَرا سِـــتْرِ الحَريـــرِ! وكَـــمْ هَـــدَّ التَّبـــاغُضُ إِيوانًـــا ودِيوانـــا!
كَـــمْ مِـــنْ سَـــلاطِينَ لَـــمْ تَكْمُـــلْ مَطـــامِعُهُمْ ذَلُّـــوا، وقَـــدْ خَسِـــروا عَرْشًـــا وتِيجانـــا!
كَـــمْ أُمَّـــةٍ دَرَسَـــتْ أَمْجادُهـــا وقَضَـــتْ آثارُهـــا! وعَزيـــزُ الشَّـــأْنِ قَـــدْ هانـــا!
لا خَـــيْرَ فـــي لُؤْلُـــؤٍ فـــي الجِيـــدِ مُنْـــتَظِمٍ تجـــاهَ عَـــيْنٍ تَسُـــحُّ الـــدَّمْعَ مَرْجانـــا
كَـــمْ لابِـــسٍ خـــاتَمَ يـــاقُوتٍ يَفْضُـــلُهُ[1] ساعٍ وَرا القُوتِ يَقْضي الوَقْتَ فَرْحانا!
والـــمالُ لا يَشْـــتَري رَغْـــدًا ولا فَرَحًـــا قَـــدْ يَشْـــتَري أَجَـــلًا للمَـــرْءِ مـــا حانـــا
قَـــدْ يَفْصِـــلُ الـــمالُ بَـــيْنَ الأمِّ وابْنَتِهـــا ويُحْـــدِثُ الـــمالُ بَـــيْنَ الأَهْـــلِ عُـــدْوانا
لَـــيْسَ الفَقـــيرةُ مَـــنْ فـــي ثَوْبِهـــا رُقَـــعٌ بَلْ تِلْكَ مَنْ خَسِرَتْ في الزَّوْجِ وُجْدانا
لا الكُـــوخُ يُسْـــعِدُنا، لا القَصْـــرُ يُؤْنِسُـــنا إِنْ لم نَجِـــدْ تَحْـــتَ رايِ[2] الحُـــبِّ بُنْيَانـــا
والعَـــيْشُ فـــي أُلْفَـــةٍ تَحْلُـــو مَناهِلُـــهُ والعُمْـــرُ عُمْـــرانٌ إِنْ أَلْفَيْـــتَ عُمْرانـــا

[1] الشطر معتلّ الوزن، ويصحّ إذا قالت: كَمْ لابِسٍ خاتَمًا ياقُوتَ يَفْضُلُهُ.
[2] راي: جَمْع رايَة.



والـــمَرْءُ يَسْـعَدُ بالأَصْـحابِ إنْ وَفَـرَتْ ... يَلْقَـــى بِهـــا لِبِنَـــاءِ الحَـــظِّ جُــــدْرانا
وهـــاكُمُ مـــا أَرَى مِـــنْ حُسْـــنِ غَـــيْرَتِكُمْ ... مـــا قَــدْ تَبَــدَّى لِقَوْلـــي اليَــوْمَ بُرْهانـــا
أَرْضُ البَرازيـــــلِ إِعْجابًـــــا بـــــأُلْفَتِكُمْ ... أَضْـــــحَتْ تُهَنِّـــــئُ سُـــــورِيًّا ولُبْنانـــــا
أَكْرَمْتُمُ العِلْمَ فـي شَخْصـي الوَضيعِ لِذا ... أَنُـــوبُ عَنْــهُ وأَهْــدي الكُـــلَّ شُــكْرانا
وإِنْ بَــدا دُونَ قَصْــدٍ فـــي مُحاضَرَتـــي ... مـــا أَزْعَـجَ السَّـمْعَ أَرْجُـو الجَمْـعَ غُفْرانـا

إنَّ القَصيدةَ السابقة قِطعةٌ شعريَّة من معينِ الحكمة، ومن لُباب الخِبْرة، ومن نسيج البصيرة، تنمُّ عن امرأةٍ اعتَصَرتْها الحياة، وأَنْضَجتها السِّنين، وأَنْطَقتها الرؤيةُ البعيدة والنظرة الثاقبة.

ومن معينِ الحكمة نفسِه تمضي سلوى سلامة في قصيدتها «الزَّهْـرَةُ وفَتاةُ العَصْر»[1]، على نَغَم البحر البسيط، ناثرةً ما استقرَّ في وجدانها من ألوان الـمُعْرفة والخبرة في الحياة، وهي لا تزال في مُقتَبل العمر وربيع الشباب، فتقول:

كَـمْ زَهْـرَةٍ فـي رِيَـاضِ الحَقْـلِ زاهِـرَةٍ ... مَـمْشُـوقَةِ القَـدِّ! لكِـنْ لا عَبِـيرَ لَهـا
وكَـمْ زُهُـورٍ بِطيـبِ العُـرْفِ تُنْعِشُـنا ... وَهْـيَ الحَقِـيرَةُ لا تَزْهُـو بِثَـوْبٍ بِهـا!
أَجَلْ، وكَمْ زَهْرَةٍ تَذْوِي وتَتْرُكُ في الْـ ... آفـاقِ رائِحَـةً تَحْيَـا القُلُـوبُ بِهـا!
وكَـمْ أَزَاهِـرَ تَنْمُـو دُونَ مَنْفَعَـةٍ! ... وغُصْـنُها يـافِعٌ بَـيْنَ الـوُرُودِ زَهـا

---

[1] مجلّة الحسناء، الجزء الحادي عشر، الـمُجَلَّد الأوّل، ٢٠ نيسَان/ أبريل، بيروت، سنة ١٩١٠ م، ص٣٤٣.



زَهْـرُ الرَّبيـعِ شَـبِيهٌ بالحِسَـانِ، فكَـمْ مِـنْهُنَّ ذاتُ جَمَـالٍ فـاقَ لَحْـظَ مَهـا!
وكَـمْ حَقِـيرَةِ ثَـوْبٍ زانَهـا أَدَبٌ! وكَـمْ عَديمَـةِ حُسْـنٍ زُيِّنَـتْ بِنُهَـى!
وكَـمْ فَتـاةٍ قَضَـتْ، لكِنَّهـا تَرَكَـتْ ذِكْـرَى ثَنـاءٍ إِلَيْهـا ارْتـاح ذاكِرُهـا!
وكَـمْ فَتـاةٍ بِثَـوْبِ العِـزِّ قَـدْ رَفَلَـتْ لكِنْ عَـنْ جَهْلِهـا الطَّـامي الجَميـعُ سَـها!
تَأَمَّلـي يـا فَتَاتـي فـي الزُّهُـورِ تَـرَيْ حَقِيقَـةً لَـيْسَ يُخْفِيهـا مَقـالُ دَهـا

وكعادتِها فـي بعض خطاباتها، تبدأ سلوى سلامة خِطابًا لها فـي حفلةٍ من حفلاتِ جمعيَّة اليد البَيْضاء عُقِدت بتاريخ ٦ أيَّار/ مايو سنةَ ١٩٢٤ م، ببَيْتين من الشِّعْر يَقْطران إنسانيَّة ورحمة، وقد اختارت له عنوان «قبلة يَهُوذا»[1]، فتقول (من البَسيط):

يـا مَـنْ حَنَـوْتُمْ عـلى ضَـعْفِ الفَقـيرِ لَكُـمْ مِنَّـا الثَّنـاءُ، ومِـنْ رَبِّ السَّـما الأَجْـرُ
إِنْ أَظْلَـمَ اللَّيْـلُ أَو طالَـتْ مَرارتُـهُ عـلى اليَتـيمِ، ففـي أَيْـديكُمُ الفَجْـرُ

وفـي سِيَاقِ الخِطاب السَّابق نَفْسِه، تنثر سلوى سلامة من أفنان حكمتها، فتقول نَثْرًا، ثُمَّ تُرْدِفُ شِعْرا (من البسيط):

"كَمْ مِنْ وَفـيٍّ خَشِنٍ، وكَمْ من ماكِرٍ ناعِم!

كَمْ مِنْ جميلةِ الطويَّة، شنيعَة الـمَظْهَر! وكَمْ مِنْ بَهِيَّة الـمَظْهر، شنيعَة السَّريرة!

كَـمْ خـادِعٍ مـاكِرٍ لانَـتْ مَلامِسُـهُ وبابْتِسـامَتِهِ يُعْطِيـكَ نُـورَ هُـدَى!

[1] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص١٢٧.



كَـــمْ مِـــنْ وَفِــــيٍّ عَـــدُوًّا خِلْتَـــهُ أَبَـــدًا! وكَـــمْ عَـــدُوٍّ بِــــأَثْوابِ الـــبَلاءِ بَـــدا!

مــا كُــلُّ مَــنْ يَــدَّعِي الإِخْــلاصَ ذا ثِقَــةٍ ولا عَــدُوُّكَ مَــنْ أَقْصَــاكَ وابْتَعَــدا"(1)

وفـي كلامٍ طويل للأديبَة سَلْوى سلامَة عن الحنين للوطن تقول فـي معرض حديثها النَّثْري (من الوافِر):

بِـــــلادي لَـــيْسَ لـــــي أُمٌّ سِــــواها وَإِنْ عَطَفَــــتْ عَــــلَيَّ الأَجْنَبِيَّـــــةْ(2)

فها هي لا ترى بلادًا تعدلُ بلادَها ولا وطنًا يشبه وطنَها، مهما لاقت منه ومهما رأت فـي غيره ما يسرُّها.

لقد سبقَ أن ذكرنا فـي الـمقـالات النثريَّة لسَلْوى سلامة أنَّها لا تكفُّ عن دعوة النساء إلى الاستقامة والفَضِيلَة والعَفاف، وها هي الآن تصوغُ ذلك شعرًا فتقول فـي قصيدة بعنوان «الفَضِيلَة»(3) (من الطَّويل):

أَلَا فَـــاعْلَمي أنَّ الفَضِـــيلةَ وَحْــــدَها جَمـالُ العَـذارَى فـي الثَّـراءِ، وفـي الفَقْـرِ

---

[1] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص١٣٦.

[2] حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، ص١٤٧. ولكن، لا أعلمُ على وجهِ اليَقين هل هذا البيتُ من مَقُولِـها أم من مَنْقُولِـها.

[3] جاءت هذه الأبياتُ فـي سِياق خطاب (بعنوان: شَرَف العَذْراء) للشاعرة سلوى سلامة، أَلْقَتْه فـي الحفلة الأدبيَّة لـمساعدَة دار اليتامى فـي زَحْلة بلُبْنان، حيث طُلِبَ منها الحديثُ عن مَوْضوعٍ فـي تلك الـمُناسَبة (مجلَّة الحَسْناء، الجزء السَّابع، الـمُجَلّد الأوّل، ٢٠ كانون الأوّل/ ديسمبر، بيروت، سنة ١٩٠٩ م، ص٢١٢، ٢١٣).

ولا تَحْسَـــبي أَنَّ التَّـــزَيُّنَ بالحِلَـــى لِيُغْنيـكِ عَـنْ ثَـوْبِ النَّقـاوَةِ والطُّهْـرِ
فبِالشَّـــرَفِ السَّـامي تَحُـوزينَ رِفْعَـةً وبِالحِكْمَـةِ الغَـرَّاءِ تَنْجِـينَ مِـنْ ضُرِّ

وفـي مَعْرِض حديثِنا عن النتاج الشعري للأديبة سلوى سلامة، نشيرُ أيضًا فيما نشير إلى أنَّها التزمت عمودَ الشعر، لكنَّها نوعَّت أحيانًا فـي القوافـي، بل وفـي بناء القصيدة. وليس أدلَّ على ذلك من قصيدةٍ لها بعنوان «اليَتيمَة»[1] (من الرَّمَل):

يـا كِرامًـا شَرَّفُـوا هـذي الـدِّيَارْ لَكُـمُ الإِكْـرامُ مَـعْ شُـكْرٍ جَزيـلْ
إِنَّ فـي الأَمْثـالِ قِـدَمًا قَـدْ وَرَدْ زَارِعُ الـمَعْرُوفِ لِلشُّـكْرِ حَصَـدْ
وجَنَـى ذِكْـرًا مَجيـدًا لِلأَبَـدْ
ذَلِـكَ مـا أَعْطَـى كَـمالَ الجُـرْأَةِ لِـمُثُولـي اليَـوْمَ فـي ذي الحَفْلَـةِ
فَـامْنُنُوا لُطْفًـا بِسَـمْعِ القِصَّـةِ
وَقَفَـتْ فـي الحَـيِّ تَبْكـي بانْكِسـارْ ذاتُ حُـزْنٍ زانَـهُ الطَّـرْفُ الكَحِيـلْ

⌘⌘⌘

هِـيَ بِنْـتٌ مِـنْ صَـغِيراتِ الحِمَـى واللَّيَالـي أَلْبَسَـتْها سَـقَما
ولَـدَيْها النُّـورُ أَضْـحَى مُظْلِـما
ظَهَـرَتْ فـي صَـدْرِها العـارِي قُـرُوحْ وبِأَحْشَـاها كُلُـومٌ وجُـرُوحْ
وعَلَيْهـا آيَـةُ الـذُّلِّ تَلُـوحْ

[1] أَلْقَت سلوى سلامة هذه القصيدةَ فـي حفلة جمعيَّة تَرْبية اليتامى الأَرْثُوذكسيَّة فـي حمص (مجلَّة الحَسْناء، الجزء الرابع، الـمُجَلَّد الثانـي، ٢٠ تِشْرين الأَوّل/ أكتوبر، بيروت، سنة ١٩١٠ م، ص١٥٦-١٥٩).

وَجْهُهـــا الشَّـــاحِبُ يَعْلُـــوهُ اصْـــفِرارْ وَلهــا جِسْـــمٌ مِـــنَ الهَـــمِّ نَحِيـــلْ[1]

⌗⌗⌗

أَطْرَقَـــتْ، ثُـــمَّ مَشَـــتْ نَحْـــوَ الأَمـــامْ تَبْتَغِـــــي إِحْســـــانَ رَزَّاقِ الأَنـــــامْ

وَبَكَـــتْ وَالقَلْـــبُ مِنْهـــا فـــي اضْـــطِرامْ

صَرَخَـــتْ وَيـــلاهُ قَـــدْ حـــانَ الـــمَساءْ إِخْوَتِـــي دُونَ طَعـــامٍ فـــي العِشـــاءْ

لَـــمْ يَـــذُوقُوا القُـــوتَ[2] أو جَرْعَـــةَ مـــاءْ

لـــم يَعُـــدْ عِنْـــدي يـــا قَـــوْمُ اصْـــطِبارْ فَلْأَمُـــتْ، لا كـــانَ ذا العَـــيْشُ الـــذَّليلْ

⌗⌗⌗

قَـــدْ خَرَجْـــتُ اليَـــوْمَ مُـــذْ صُـــبْحي بَـــدا أَبْتَغِـــي كِسْـــرَةَ خُبْـــزٍ[3] أو جَـــدا[4]

عَلَّهـــا تَـــدْفَعُ عَـــنْ جِسْـــمي الـــرَّدَى

كَيْـــفَ؟ هَـــلْ أَطْـــرُقُ أَبْـــوابَ الكِـــرامْ؟ لِـــمَنالِ الـــبِرِّ أو بَعْـــضِ الطَّعـــامِ

وَيَـــدِي تَرْجُـــفُ مِـــنْ فَـــرْطِ السَّـــقامْ

إِنَّ هَـــذا لـــي إِذْلالٌ وَعـــارْ فِيـــهِ أَغْـــدُو مِـــنْ بُنَيَّـــاتِ السَّـــبِيلْ

⌗⌗⌗

---

[1] فـي الأصل: الهمِّ النَّحيل؛ والصَّحيحُ ما أَثْبَتْناه.

[2] فـي الأصل: القوة؛ والصَّحيحُ ما أَثْبَتْناه.

[3] فـي الأصل: كثرة خُبْز؛ والصَّحيحُ ما أَثْبَتْناه.

[4] جَدا: جمعُ جَدْية؛ والجَدْية: القطعةُ من الكساءِ الـمَحْشوّة تحتَ دفَّتَي السَّرْج ونحوه.



تَتَمَنَّـى الـرُّوحُ عَـنْ جِسْـمِي انْفِصـالْ قَبْـلَ أَنْ يُـوقِعَني ذُلُّ السُّـؤالْ
فـي مَهـاوٍ لِـي بِها شَرُّ النَّكـالْ

هَـا رَفِيقاتـي بِـأَثْوابِ الرَّخـاءْ قَـدْ نَعِمْـنَ العُمْـرَ مِـنْ دُونِ شَـقاءْ
وَأَنـا أَشْـقَى صَـباحِي وَالـمَسـاءْ

أَيُّ ذَنْـبٍ لِأَشِـقَّائي الصِّـغارْ لِيُقاسُـوا اليُـتْمَ والبُـؤْسَ الثَّقيـلْ؟

⌗⌗⌗

مـاتَ أَهْلـي، بَعْـدَهُمْ لا خِـلَّ لـي يَـذْرِفُ الـدَّمْعَ لِخَطْبِـي الجَلَـلِ
ويَـدِي تَجْهـلُ أَدْنَـى عَمَـلِ

هَكَـذا أَلْقَـى أَيـا قَلْبـي الكَلـيمْ مِـنْ مُصـابٍ يُضْـعِفُ الجِسْـمَ السَّـليمْ
أَتُـرَى ذِي قِسْـمَةُ الطِّفْـلِ اليَتـيمْ؟

ضـاقَتِ الـدُّنْيا لَـدَى ذا الاذِّكـارْ فَلْيَظَـلَّ الـدَّمْعُ مِـنْ عَيْنـي يَسِـيلْ

⌗⌗⌗

كَفْكِـي دَمْعَـكِ يـا ذاتَ النَّقـاءْ واطْرَحِـي أَثْـوَابَ ضُرٍّ وَعَنـاءْ
تَعْسُـكِ الحَـاضِرُ يَتْلُـوهُ هَنـاءْ

أَوْجَـدَ الـمَنَّانُ فـي بَعْـضِ الصُّـدُورْ مِـنْ حَنـانٍ وانْعِطـافٍ فـي الشُّـعُورْ
مـا بِـهِ يَفْتَخِـرُ الـمَرْءُ الفَخُـورْ

أَبْشِـري، لا تَقْنَطـي، فالـدَّهْرُ دارْ وأَتَـى بَعْـدَ الشَّـقا الـدَّوْرُ الجَميـلْ

⌗⌗⌗

مِـــنْ رِجــالِ الفَضْـــلِ شُـــمْنا لَـــجْنَةً تَبْـــذُلُ الإِحْســـانَ تَمْحُـــو دَمْعَـــةً
وبِهــــا الـــــوَيْلاتُ تَغْـــــدُو نِعْمَــــةً

فـــي نَـــوَاحِي حِمْـــصَ شـــادَتْ مَيْـــتَما لِبُنَيَّـــــاتٍ كأَجْنـــــادِ السَّـــــما
فَــــوْقَهُنَّ الـــتَّعْسُ قِـــدْمًا خَـــيَّما

أَخَـــذَتْ تَـــدْفَعُ عَـــنْهُنَّ الشَّـــنارْ[1] فَـــيَرَوْنَ مـــاءَ صَـــفْوٍ سَلْسَـــبِيلْ

⌘⌘⌘

لِعُقُـــــولٍ وَنُفُـــــوسٍ ثَقِفَـــــتْ[2] بَعْـــدَما أَسْـــقامُهُنَّ قَـــدْ شَـــفَتْ
ودُجَـــــى الإِذْلالِ عَـــــنْهُنَّ نَفَـــــتْ

هِـــيَ كـــالأُمِّ الحَنُـــونِ الـــمُرْضِعِ مِـــنْ لِبـــانِ الـــبِرِّ قَلْـــبَ الـــمُوجَعِ
مـــا لَـــها عِنْـــدَ الجَـــزا مِـــنْ مَطْمَـــعِ

هِـــيَ تَبْغـــي رَحْمـــةً دُونَ فَخَـــارْ وعَثـــارَ التُّعَســـا لُطْفًـــا تُقِيـــلْ

⌘⌘⌘

رَأْسُـــها الـــمِحْسانُ ذُو صَـــدْرٍ رَحيـــبْ ونِـــداءُ الـــمُسْتَغِيثِينَ مُجِيـــبْ
ولَكَـــمْ قَـــدْ فـــاحَ فـــي مَدْحَيْـــهِ طِيـــبْ!

وَلَكَـــمْ قَـــدْ شـــادَ فِينـــا مَعْبَـــدا! وبَنَـــى مُسْتَوْصَـــفًا أَوْ مَعْهَـــدا
لِشِـــفاءٍ وعُلُـــومٍ وهُـــدَى

[1] الشَّنَار: الأمرُ الـمَشْهورُ بالشُّنْعَةِ والقُبْح.

[2] ثَقِفَ الشَّخص: صارَ حاذِقًا فَطِنًا.



هُــوَ شَــخْصُ الطُّهْــرِ إِنْســانُ الوَقــارْ «اِثْناســيُوس» راعِينــا الجَلِيــلْ

⌘⌘⌘

فَــانْعَمِي يــا مَــنْ بَكَــتْ فِــيما مَضَــى فــي سَــماكِ بَــرْقُ سَــعْدٍ أَوْمَـضـا

وزَمــانُ البُــؤْسِ وَلَّــى وانْقَضَــى

واهْنــأُوا يــا ماسِــحِي دَمْــعَ اليَتِــيمْ إِنَّ مــاءً قَــدْ سَــقَيْتُمْ لِلسَّــقيمْ

أَجْــرُهُ يُعْطِــيكُمُ الـمَوْلَــى الكَــريمْ

ثُــمَّ ذِكْــراكُمْ بِشُــكْرٍ واعْتِبــارْ يَحْفَــظُ التَّــاريخُ جِــيلًا بَعْــدَ جِيــلْ

وها هنا نموذجٌ آخر عن تَنْويع القوافي لدى الأديبة سلامة، حيث تقول في قصيدة بعنوان «دَمْعَةٌ على زَهْرَة»[1] (من الخَفيف):

وَرْدَةٌ فــي نَيْســانِها قَطَفَتْهــا أَنْمُــلُ الــمَوْتِ مِــنْ رِيَــاضِ القُلُــوبِ

وبِثَــوْبِ الزِّفــافِ قَــدْ كَفَّنَتْهــا كَعَــرُوسٍ ســارَتْ لِخِــدْرِ الحَبِيــبِ

يــا عُيُــونَ السَّــماءِ هَــلَّا بَكَتْهــا قَطَــراتُ النَّــدَى قُبَيْــلَ الغُــرُوبِ

⌘⌘⌘

يــا طُيُــورَ السَّــماءِ بِــاللهِ نُــوحِي فَــوْقَ أَرْضٍ ضَــمَّتْ قُــوامَ الوَديعَــةْ

يــا زُهُــورَ الرَّبيــعِ حَــوْلَ الضَّــريحِ كَلِّــلي مَفْــرِقَ العَــرُوسِ «البَديعَــةْ»

يــا نَســيمَ البِحــارِ عِنْــدَ الصَّــبُوحِ انْشُــرِ الطِّيــبَ حَيْــث نامَــتْ مُطيعَــةْ

[1] نَظَمَتْ سلوى سلامة هذه القصيدةَ في رثاء نَسيبةٍ لها تُوفِّيَت في سان باولو بالبرازيل (مجلّة الحَسْناء، الجزء الثامن، الـمُجَلَّد الثَّالث، أَيَّار/ مايُو، بيروت، سنة ١٩١٢ م، ص٣٨٨).



خاتمة ونتيجة

بادئ ذي بَدْء يطيب لي أن أشيرَ إلى أنَّه عندما عزمتُ على إِبْراز شخصية مهجريَّة نسائيَّة ذات شأن، هي سلوى سلامة أطلس، وإظهار نِتاجها للدراسين والـمَعْنيِّين بالأدب الـمهجري، كنت أنوي جمعَ شعرها فقط، لكنَّني لـم أتحصَّل إلَّا على القليل منه، فعدلتُ عن ذلك إلى الحديث عن أدبها شعرًا ونثرًا، على أن أعاودَ جمعَ الشعر إن تأتَّى لي منه ما يكفي ليكون ديوانًا. وخلال هذا العَمل توفَّرت لـي مَراجعُ جديدة لهذه الأديبة حَوَتْ بعضَ أشعارها، فأكملتُ عملي فـي هذا الكتاب على النَّهج الذي سرتُ عليه، واضعًا نُصْبَ عيني العودةَ إلى تلك الـمراجع الجديدة لأستفردَ منها بقيَّة قصائد سلوى سلامة والخروج بديوان مستقلٍّ لها، وقد فعلتُ.

الأديبةُ والشاعرة سلوى سلامة كاتبة ماهرة وخطيبة بارعة، ناضلت فـي سبيل الـمرأة وكتبت وخطبت فـي زمنٍ قلَّ فيه أمثالُها. ولكنَّ نتاجَها الأدبـي والخَطابـي توارى بدرجةٍ كبيرة بعدَ وفاتها، ولم يحفل به الدارسون كما ينبغي. وربَّما يكون فـي هذا النتاج ما لا نتَّفق معه، مثلما أشار إلى ذلك الأديبُ الـمَهْجري نظير زيتون، حيث عابَ عليها تحامُلَها على الرَّجل أحيانًا.

قد يكون ما كتبته سلوى سلامة من شعرٍ ونثر قبلَ هجرتها ذا لونٍ مختلف، وقد لا يطيب لبعض الباحثين أن يُدخلَ ذلك فـي أدب الـمَهْجر، لكنَّ أديبتَنا لم يختلف ما كتبته قبلَ اغترابها كثيرًا عمَّا كتبته بعدَه.



لعلَّ سلوى سلامة من النساء القليلات اللواتـي انْفَردنَ بمجلَّةٍ مستقلَّة، مجلَّة الكرمة، كانت بالنسبة لها مُتَنَفَّسًا لبثِّ ما تؤمن به وتنادي. وتُعَدُّ مجلَّةُ الكَرْمة الـمَهْجريَّة هذه أوَّلَ مجلَّةٍ عربية تتحدَّث عن الـمَرْأة.

جمعت سلوى سلامة ما بين مهارة النثر والخطابة، ونظم الشعر؛ ولكنَّها كانت فـي النثر أبلغَ قولًا وأبعدَ شأوًا.

لم يكنِ الشعرُ عندَ سلوى سلامة مقصودًا بحدِّ ذاته، بل جاءَ تعبيرًا عن قناعاتها وأهدافها، ووسيلةً لإيصال أَفْكارها ورُؤاها، لذلك لم تَجُبْ كلَّ أغراضه، فما اهتمَّت بفخر ولا غزل ولا وصف. كما أنَّ كثيرًا منه جاء نُزولًا عندَ مناسباتٍ معيَّنة أو شفيعًا لخُطَبها ومقالاتها.

وأخيرًا، نستطيع القول: إنَّ سلوى سلامة علامةٌ نسائية فارقة فـي تاريخ الأدب الـمهجري خاصَّةً، وشعلةٌ متوقِّدة فـي تاريخ الأدب العربـي عامَّة. ومن الحَرِيِّ بأهل الأدب والنقد التعرُّض لأعمالها الأدبيَّة، وأعمال غيرها من أديبات الـمَهْجر اللواتـي طَواهُنَّ النِّسيان.



المراجع

◆ أدب الـمَهْجر بين أَصالَة الشَّرْق وفِكْر الغَرْب، د. نَظْمي عبد البَديع محمَّد، دار الفِكْر العَربـي.

◆ أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جورج صيدَح، الطَّبعة الرابعة، مَكْتبة السَّائِح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩ م.

◆ أَديبات عـربـيَّـات - سِـيَرٌ ودراسـات، عيـسى فَـتُّـوح، الجـزء الأوَّل، الطبعـة الأولى، ١٩٩٤ م.

◆ أعلام الأدب والفنّ، أَدْهم آل جنْدِي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلَّة صَوْت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م.

◆ أمام الـمَوْقد، سلوى سلامة أطلس، دار الطباعة والنَّشْر العربية، سان باولو، البرازيل، ١٩٤١ م.

◆ انطِباعات مُغْتَرب فـي سوريَّة، عبد الـمسيح حَدَّاد، وزارة الثَّقافة والإرشاد القَوْمي، دمشق، ١٩٦٢ م.

◆ تـاريخ حِمْص، مُنير أَسْـعَد عيسى، الجزء الثَّانـي، مُطْرانيَّة حِمْص الأَرْثـوذكسيَّة، ١٩٨٤ م.

◆ تَذْكار اليُوبيل لسِيادَة الحَبْر الجليل اثناسيُوس عَطا الله، رزق الله نعمَة الله عبُّود، الطبعة الأولى، مطبعة حمص، ١٩١١ م.



◆ جَرَّة الـمَنّ، سلوى سلامة أطلس، دار الطباعة والنَّشْر العربية، سان باولو، البرازيل، ١٩٣٠ م.

◆ جريدة حمص (أرشيف السَّنتَيْن الثانية والثالثة).

◆ جريدة السَّائِح الـمهجريَّة لعبد الـمسيح حدّاد.

◆ حديقة خُطَب، سلوى سلامة أطلس، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٨ م.

◆ زَفَرات القُلُوب لِفَقْد الرَّاعي الصَّالِح الـمَحْبوب، الخوري عيسى أسعد، مطبعة السَّلامة، ١٩٢٣ م.

◆ الكلمات الخالدة، سلوى سلامة، سان باولو، البرازيل، ١٩٢٣ م.

◆ مجلّة الحسناء البَيْروتيَّة لصاحبها جُرْجي نقُولا باز (١٩٠٩-١٩١٢ م).

◆ مدخل لدراسة الأدب (مُقَرَّر جامِعي)، كلّية اللغة العربية وآدابها، جامعة أمّ القرى، ٢٠١٦-٢٠١٧ م.

◆ معجم أَعْلام النِّساء، محمَّد التونجي، الطبعة الأولى، دار العِلْم للملايين، بَيْروت، لبنان، ٢٠٠١ م.

◆ مقالة: الجامعة، أثير محمّد علي، مجلَّة الكلمة، العدد ٥٧، كانون الثانـي/ يناير ٢٠١٢ م.

◆ "Sisters of Men": Syrian and Lebanese Women's Transnational Campaigns for Arab Independence and Women's Rights, 1910-1949 (رسالة دكتوراه)، نُوفا رُوبنسُون Nova E. Robinson، نيُو برونزويك، نيُو جِرْسي، الولايات الـمتَّحدة الأمريكيَّة، ٢٠١٥ م.



◆ Making Nations, In The Mahjar: Syrian And Lebanese Long-Distance Nationalisms In New York City, São Paulo, And Buenos Aires, 1913-1929، ستاسي د فَهْرنثولد Stacy D Fahrenthold (رسالَة دكتوراه في التاريخ)، جامعة نُورثستيرن Northeastern University، بوسطُن، ٢٠١٤ م.



سيرة ذاتية للمؤلّف

الدكتور حسَّان أحمد قمحية

❁ مَواليد الجمهورية العربية السوريَّة، مدينة حمص، ١٩٦٨ م.

❁ شَهادة **الدِّراسَة الثانوية** سنة ١٩٨٦ م.

❁ **شهادَة الدكتوراه فـي الطب البشري** بجامعة دمشق (الطبّ العام) سنة ١٩٩٢ م.

❁ **إقامة للاختصاص فـي الطبِّ الباطني** من ١٩٩٣-١٩٩٧ م.

❁ **دراسات فـي الصحّة العامّة** ١٩٩٤-١٩٩٥ **(خلال فترة اختصاص الباطنة).**

❁ **طَبيبُ طوارئ** مع هيئة الهلال الأحمر السعودي من ٢٠٠٠ حتّى ٢٠٠٦ م.

❁ **مُشْرِفٌ ومدرِّب فـي برنامج الإسعاف الـمتقدِّم** التابع للهلال الأحمر بمنطقة الـمدينة الـمنوَّرة، ومُشْرِف على دبلوم الإسعاف والطوارئ بمعهد السباعي الأهلي بالـمدينة الـمنوَّرة خلال مدّة العمل مع هيئة الهلال الأحمر السُّعودي.

❁ **مُتَرجِمٌ ومحرِّر طبِّي** ومؤلِّف كتب طبّية فـي الـمركز العربـي لترجمة وتأليف الكتب الطبِّية (أكملز) بالكويت منذ سنة ١٩٩٩ م، وقد ترجم وألّف للمركز الكثير من الكتب الطبِّية، مثل السلامة والصحّة الـمهنّية وكتاب الالتهاب والترجمة الطبّية التطبيقية. كما شارك فـي شرح مصطلحات الـمعجم الطبِّي الـمفسَّر الصادر عن الـمركز.

❁ **مديرٌ طبِّي للهِلالِ الأحمر السعودي** بمنطقة الـمدينة الـمنوَّرة، و**مدير للدِّراسات**، منذ سنة ٢٠٠٢ وحتى ٢٠٠٦ م.



❁ **كبير الـمحرِّرين الطبِّيين وعضو مجلس الإدارة** فـي موسوعة الـملك عبد الله العربية للمحتوى الصحِّي بجامعة الـملك سعود للعلوم الصحّية فـي الشؤون الصحية بالحرس الوطني، منذ سنة ٢٠١١ م وحتَّى تاريخه.

❁ يتَعاون مع الـمكتب الإقليمي لشرق الـمتوسط بمنظَّمة الصحَّة العالمية منذ سنة ١٩٩٧ م، و**عضوٌ مؤسِّس فـي شبكةِ تعريب العلوم الصحِّية** التابعة له؛ وقد شارك مع فريقٍ من الـمنظَّمة فـي إنجاز مشروع الـمعجم الطبِّي الـموحَّد الـمَشْروح الذي يضمُّ أكثرَ من ١٣٠ ألف مُصْطَلح بعدَّة لغات وبوسائط متعدِّدَة.

❁ أصْدر عددًا من **الكتب الطبِّية ترجمةً وتأليفًا والأدبيّة**، وقد بَلغَت حتَّى حينه أكثر مـن تِسْـعين كتابًا، مع الحصول على جوائز عربيَّة مشتركة، مثل جـائـزة مـؤسَّـسة الكـويت للتقدُّم العلمي عـن كتاب هاربر - الكيمياء الحيويَّة كأفضل كتاب مترجم فـي العلوم لسـنة ٢٠٠٠ م، وعـن كتاب الأسس الباثولوجية للأمراض سـنة ٢٠١١ م. وآخـر كتـاب صـدر لـه فـي الـمجال الطبّي هـو «دور الوقت فـي الصحَّة والـمرض» عـن دار الإرشـاد بحمص، ٢٠٢١ م. ومـن بعض تلك الكتب (مترجمة أو مؤلَّفة):

- الـموسوعة الطبِّية الـميسَّرة (٤ أجزاء)، مكتبة الـمركز التقني الـمعاصر، دمشق، ١٩٩٥-١٩٩٧ م.

- الفيزيولوجيا الطبِّية والفيزيولوجيا الـمرضيَّة (٣ أجزاء)، دار ابن النَّفيس، دمشق، ١٩٩٧-١٩٩٨ م.

- طبّ العناية الـمشدَّدة (جُزْآن)، دار ابن النَّفيس، دمشق، ١٩٩٧ م.
- أطلس أمراض الجلد، مكتبة الـمركز التقني الـمعاصر، دمشق، ٢٠٠٢ م.
- كتاب القلب، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- دليل الـمسعف (مشترك)، الهلال الأحمر السعودي، الرياض، ٢٠٠٥ م.
- بروتوكول العمل الإسعافي (مشترك)، هيئة الهلال الأحمر السعودي، الرياض، ٢٠٠٥ م.
- ثورة إطالة الأعمار، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠٠٦ م.
- أسوأ السيناريُوهات، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨ م.
- معجزة الجنين، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠١٢ م.
- يوم من الحياة في جسمك، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠١١ م.
- الحمل فـي القرن الواحد والعشرين، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠١٣ م.

❁ نَشْرَ العَديد من **الـمقالات الطبِّيّة والأدبيّة**، مثل مجلَّة الـموسوعة العربيّة ومجلَّة جمعية مكافحة السلِّ والأمراض التنفُّسية بدمشق والـمنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومجلَّة الإسعاف فـي الهلال الأحمر السُّعودي وعدد من الـمجلّات الأخرى والـمواقع الإلكترونية.

❁ **فـي الـمجال الأدبـي والاجتماعي والترجمة** (مع ملاحظة أنّ بعضَ هذه الكتب أُعدّت سابقًا قبلَ تاريخ صُدورها ببضع سنوات):

- ***دراسات فـي الأدب الـمهجري:***

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب – أَناشيد الحَياة (تَقْديم وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٩ م.



☩ الشَّـاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب - حياتُه وشـعرُه (دراسة)، دار الإرشـاد، حمص، ٢٠١٨ م.

☩ ديوان الشَّـاعِر الـمَهْجري نَصْر سَـمْعان (تَقْديم واسـتِدْراك وضَبْط)، دار الإرشـاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

☩ عَتبات النصّ فـي ديوان الشَّـاعِر الـمَهْجري نَصْر سمعان، دار الإرشـاد، حـمص، ٢٠١٩ م.

☩ ديوان الشَّـاعِر الـمَهْجري بَدْري فَرْكوح - تَقْديم وجَـمْع وضَـبْط، دار الإرشـاد، حـمص، ٢٠٢٠ م.

☩ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَدْرة حَدَّاد - أَوْراق الخَريف وقَصائِد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

☩ ديوان الشـاعرة الـمَهْجريَّة سَـلْوى سـلامَة (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار الإرشـاد، حـمص، ٢٠٢٠ م.

☩ الأديبة والشـاعرة الـمَهْجريَّة سَـلْوى سَلامَة - حياتُها وأدبها، دار الإرشـاد، حـمص، ٢٠٢٠ م.

☩ ديوان الشـاعر الـمهجريّ بِتْرو الطرابلسـي (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار الإرشـاد، حـمص، ٢٠٢٠ م.

☩ ديوان الشــاعر الـمَهْجريّ صَـبْري أَنْدريا (تَقْديم وجَـمْع وضَبْط)، دار الإرشـاد، حـمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري مِيشيل مَغْربـي - أَمْواج وصُخُور (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّـاعِر الـمَهْجري جميل حلوة (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار الإرشـاد، حـمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نسيب عريضة - الأَرْواح الحائرة وقصائد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نبيه سلامة - أَوْتار القلوب وقصائد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري موسى الحدّاد، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري يوسف صارمي، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢١ م.

⊕ أدباء وشعراء مَهْجريون منسيّون، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ ديوان الأديب الـمَهْجري عبد الـمسيح حدّاد، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمَهْجري علي محمّد عيسى، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ د. عبد اللطيف اليونس – حياتُه وأدبه، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمَهْجري توفيق فخر، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمَهْجري محمود صارمي، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

- ***دواوين شعرية وكتب أخرى:***

⊕ أَبْلغ من الصَّمْت (مجموعة شِعْرِيَّة)، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٧ م.



- براعم النُّخبة للأطفال (مجموعة شِعْريَّة)، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٧ م،
- جرعة حزن (مجموعة شِعْريَّة)، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٨ م،
- مرايا الليل (مجموعة شِعْريَّة)، دار روائع الكتب، إسطنبول، ٢٠١٩ م.
- وعاد القمر (مجموعة شِعْريَّة)، دار روائع الكتب، إسطنبول، ٢٠٢٠ م.
- نِثار الغريب، دار صونجاغ، إسطنبول، ٢٠٢٢ م.
- الأقرع بن معاذ القشيري، ما تبقّى من شعره، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.
- الفيسبوك تحت الـمجهر، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٧ م.
- مَعالِم في الترجمة الطبِّية - محاولة لوضع القواعد والأسس، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٩ م.
- الترجمة الطبِّية التطبيقية - الـمركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحّية، الجامعة العربيّة، الكويت، ٢٠٢٢ م.